حلول مقترحة لتخفيف

الزحام في الحرمين الشريفين

أ.د. عمر سراج أبو رزيزة(*)

- **مقدمة:**

الحمد لله الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على حبيبه الأعظم، الأمي الذي علمه الله ما لم يكن يعلم، فهدى وقوم، وحث على العلم والتعلم، لنكون كما أرادنا الله أهل عز وجل ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾(١). لقد أمرنا الله على لسان حق لا ينطق عن الهوى بأن يهتم كل منا بأمر المسلمين، وحذر من التفريط في هذا الواجب حيث قال صلوات الله عليه في حديثه «... من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»(٢)، وأولى الناس قياما بهذا الواجب الحكام والعلماء، لأن بهم يجلب النفع والخير، ويدفع الضر والشر.

ولعل من أعظم الأعمال وأشرفها أن يولي الإنسان وجهه وقلبه وبصره وبصيرته شطر الحرمين الشريفين مستهدفا خدمة مرتاديهما من حجاج ومعتمرين كي ينعم جميعهم بالراحة والأمان، أداء لشيء من فضل الله علينا أن جعلنا من أهل هذا الوطن الكريم الذي يحتضن أفضل وأطهر وأشرف

(*) جامعة الملك عبد العزيز - جدة - المملكة العربية السعودية.

(١) سورة المنافقون من الآية رقم (٨)

(٢) ....."من أصبح وهمه غير الله عز وجل فليس من الله في شيء، ومن لم يهتم للمسلمين فليس منهم" حديث رقم ٧٨٨٩، فهرس مستدرك الحاكم - كتاب الرقاق، موسوعة الحديث النبوي الشريف الصحاح والسنن والمسانيد، نسخة إلكترونية، إنتاج موقع روح الإسلام.

بقاع الأرض،ولا أظن أن أحدا منا يمكن أن يفرط في فضل وأجر وشرف خدمة الحجاج والمعتمرين.

من هنا.. من واقع حبي للحرمين الشريفين، وتعبدا لله بخدمتهما وخدمة قاصديهما وعمارهما، وانطلاقا من حب هذا الوطن العظيم، ومشاركة في اهتماماته أقدم هذه الدراسة المتواضعة التي أرجو أن يكون فيها نفع يثيب الله عليه معدها ومن استوصى بها وتبنى ما فيها إذا ثبت لديه جدواها، ويعلم الله أنه لا هدف من وراء التفكير فيها، والتتبع والبحث والسهر على إعدادها وتصنيفها إلا طلب الأجر من الله عز وجل، والعمل على توفير السلامة والراحة لضيوف الرحمن.

فإن وجد القارئ فيها من صواب فهو من فضل الله عز وجل، وإن وجد فيها من نقص فمن نفسي، والنقص سمة العمل البشري والكمال لله وحده.

وجزى الله بالخير كل من أكمل في هذه الدراسة نقصا، أو صوَّب خطأ، أو أضاف ما يتمم النفع.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- **أهداف البحث:**

١- التغلب على مشكلة الزحام في المسجدين الشريفين أو التقليل منها قدر الإمكان، مع التركيز على الحل التنظيمي قدر الإمكان.

٢- كما تستهدف الدراسة إيجاد حل لمشكلة الزحام عند مداخل ومخارج المسجدين وبالذات مداخل ومخارج منطقة الزيارة في المسجد النبوي الشريف.

٣- إيجاد حل لمشكلة الزحام في المطاف – منطقة عنق الزجاجة بين الركن اليماني وركن الحجر الأسود-،وعند خروج الطائفين واتجاههم نحو المسعى.

٤- اقتراح حلول للمشكلة يدوم نفعها أكبر فترة ممكنة، مع يسر تنفيذها وقلة تكاليفها.

٥- أن تصل الدراسة إلى تحقيق أهدافها دون خروج عن آراء الفقهاء المعتبرين.

- **منهجية البحث:**

١- المنهج الوصفي: حيث حرصت الدراسة على وصف واقع المسجدين من حيث المكان والمكين.

٢- المنهج التاريخي: حيث تتبعت الدراسة بشئ من الإيجاز حال المسجدين وما طرأ عليهما من توسعات.

٣- المنهج الاستقرائي: عن طريق المشاهدة لما يجرى في المسجدين، وما يكون فيهما من زحام، وفي أي موقع يكون، ومتى يكون، كما لم تغفل الدراسة استقراء أقوال الفقهاء على اختلاف مذاهبهم في المسائل التي تمس قضايا البحث.

٤- الشمول والوضوح: حيث تتبعت الدراسة الزحام في أوقاته وعناصره وأبعاده كاشفة إياه بالأرقام والعرض البسيط.

٥- توقع ما يكون مستقبلا من خلال حقائق مدروسة لا بالحدس والتخمين، واقتراح الحلول التي تناسب ما سيكون في المستقبل.

ويقع البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع

- **تمهيد: بين يدي البحث:**

إن المتتبع لتاريخ المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف يعرف مدى ما كانا عليه من محدودية طاقة كل منهما الاستيعابية.

فحتى مطلع سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة كان بناء المسجد الحرام لا يزال على عهده العباسي، لا يكاد يتسع إلا لقرابة ٥٦,٠٠٠ مصل[١] بمساحته التي قدرت بـ ٢٨٠٠٣ م٢، متمثلة في الأروقة[٢] التي يطلق عليها الآن الأروقة القديمة، والحصاوى، والصحن[٣]. وكان المسعى خارج الحرم منفصلا عنه، وكانت دور أهل مكة المكرمة وأسواقها تحيط بالحرم من كل الجهات بما لا يكاد يتجاوز ميلين أو ثلاثة بعدا عن المسجد الحرام.

ولم يكن هناك مشكلة تذكر رغم صغر مساحة الحرمين الشريفين، الأمر الذي يدل على أن عدد من كانوا يقصدون الحرمين من الحجاج والمعتمرين ظل قليلا متناسبا مع مساحة الحرمين وصغر مساحة المدينتين المشرفتين منذ العصر العباسي وحتى ستين عاما خلت.

لكن الثورة العلمية الهائلة التي شهدها النصف الأخير من القرن الهجري السابق وبدايات هذا القرن قد عملت عملها في إقبال المسلمين على أداء

(١) على أساس أن كل متر مربع يسع عدد اثنين من المصلين.

(٢) جمع رواق وهو الجزء المسقوف بالقباب من المبنى العباسي.

(٣) جزء مبلط بالرخام حول الكعبة المشرفة على شكل شبه دائري (صحن).

فريضة الحج والعمرة، مما أدى إلى قفزات كبيرة متتالية وسريعة في أعداد الحجاج والمعتمرين(١).

إزاء هذا قررت الحكومة السعودية – جزاها الله خيرا – توسعة الحرمين الشريفين، وقامت بالفعل بهدم الدور المحيطة بهما ابتداء من مطلع عام ١٣٧٠ هـ، وبدأ العمل المبارك ليضيف إلى كل مسجد منهما أضعاف مساحته، مع الحفاظ على ما كان قائما من مبانيهما، ولكن بإنشاء الجديد متصلا به، ففي المسجد الحرام ابتدأ العمل عام ١٣٧٣هـ حيث حوفظ على الرواق العباسي بأعمدته وعقوده ولون أحجاره المميزة، وقبابه البديعة، وزيد عرض المسعى وجعل من طابقين داخلين في الحرم الشريف بعد أن كان المسعى خارجه منفصلا عنه.

لقد شهدت مساحة المسجد الحرام زيادة كبيرة بفضل هذه التوسعة العظيمة، وصار ذا طابقين وسطح بلغت مساحتها الإجمالية ١٢٨,٠٠٠ متر مربع، أي أكثر من ٤,٥ ضعف المساحة السابقة. وصار الحرم وساحاته يتسع لقرابة ٤٠٠,٠٠٠ مصل(٢).

وابتدأ العمل في المسجد النبوي الشريف عام ١٣٧٠هـ حيث حوفظ على المسجد القديم بمساحته التي قدرت بحوالي ١٠٣٠٣م٢، وبعد التوسعة السعودية الأولى أصبحت مساحته (٤٠٠×٢٨٠)م٢ بناء، وساحات

---

(١) عمر سراج أبو رزيزة، حلول مقترحة لخفيف حدة الزحام في مناسك الحج ، مطابع الستين، السعودية.

(٢) رجاء يحيى الشريف، دور الإدارة العامة في مواجهة التحديات التي تواجه أجهزة الدولة أثناء الحج.

(٦٤٠×٥٠٠)م٢ بمساحة إجمالية =٣٣٢٠٠٠م٢ وتتسع لما يقرب من ٦٦٤٠٠٠مصل[(١)] .

وقد استوعبت هذه التوسعات أعداد الحجيج والمعتمرين آنذاك، ومكنتهم من أداء الصلوات المكتوبة في داخل المسجدين الشريفين، لكن حدث بعد ذلك ما هو متوقع حيث تزايد عدد الحجاج والمعتمرين من داخل المملكة وخارجها بشكل فاق التصور، وأصبح المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف لا يسعان المصلين، وعندها أيضا قررت حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز – رحمه الله – القيام بتوسعة إضافية جديدة للحرمين وساحاتهما. وقد تمت هذه التوسعة بحمد الله وافتتحت منذ عدة سنوات بحيث صارت المساحات الإجمالية للمسجد الحرام تتسع لـ ٧٥٠٠٠٠ مصل، والمسجد النبوي الشريف لـ ٤٥٠٠٠٠ مصل. ورغم أن هاتين التوسعتين الكبيرتين للمسجدين الشريفين قد أسهمتا بشكل ملموس في التخفيف من الزحام،إلا أن من يتردد على المشاعر المقدسة يتجلى له أن الزحام مازال قائما، بل ويزداد سنة بعد أخرى، وفي هذا دلالة على أن أعداد المصلين قد فاقت طاقة المسجدين الاستيعابية وتتجلى شدة الزحام في المطاف بالمسجد الحرام، وفي أماكن الزيارة بالمسجد النبوي، وعند المداخل والمخارج في كل من المسجدين، وهذا يدل على أن التوسعات التي تمت في حينها في المسجدين قد ركزت على زيادة الطاقة الاستيعابية للمصلين ولم تعر اهتماما مماثلا لأبعاد أخرى تماثل إن لم تزد في أهميتها على هذا البعد.

---

(١) جريدة المدينة ،الأربعاء ١٠ ذو القعدة ١٤٣٣هـ العدد ١٨٠٥٣، السنة الثامنة والسبعون.

لقد فات منفذي هذه التوسعات أمور في غاية الأهمية، لعل من أهمها أن التوسعة في المسجد النبوي الشريف لم تشمل منطقة الزيارة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه حول الحجرة الشريفة، فتضاعف الزحام في هذه البقعة من المسجد أيام المواسم بصورة واضحة، وهذا أمر طبيعي، فمكان هيئ لاستيعاب الزائرين من بين عشرين ألفا طلب منه أن يستوعب الزائرين من بين أربعمائة وخمسين ألفا، وهذا محال. لقد استوعبت التوسعتان المباركتان عدد المصلين المتزايد في المسجد النبوي الشريف حتى وقت قريب، لكن هذا التوسع سار على قدم واحدة، فالذين يؤمون المسجد النبوي الشريف ليسوا مصلين فحسب ولكنهم مصلون وزائرون، فكما أفسح مكان الصلاة كان ينبغي أن يفسح مكان الزيارة بتناسب معقول، فمكان الزيارة مكان يعج بالزائرين، وهو في المواسم شديد الزحام تتلاطم فيه أمواج الزوار بين منصرف وقادم.

كذلك فإن منفذي التوسعتين لم يأخذوا في حسبانهم المواءمة بين الزيادة الكبيرة جدا لطاقة المسجد الاستيعابية وبين حجم منافذ الدخول والخروج لتواكب الزحام في المواسم وعند الطوارئ خاصة في الجزء الجنوبي من المسجد، وهي منطقة زحام وحركة دائمة، ويلحظ هذا واضحا في باب جبريل، وباب البقيع، وباب النساء. لقد كان من الواجب على المصمم والمنفذ أن يراعيا هذه المواءمة حتى يتم الدخول والخروج في سهولة ويسر ووقت معقول، هذا ما تقضي به معايير الفكر الهندسي الصحيح.

والحال لا يختلف كثيرا في المسجد الحرام فعند دخول المعتمرين والحجاج إلى المسجد الحرام، ومن ثم الدخول إلى المطاف الشريف والخروج منه، ودخول الحجر المبارك والخروج منه، والوقوف بالملتزم ومغادرته،

والصلاة خلف مقام إبراهيم عليه السلام، والدخول إلى المسعى والخروج منه تتلاطم الجموع بين منصرف وقادم.

ثم أمر مهم آخر أغفلته التوسعات الجديدة في المسجدين الشريفين إذ كان من الواجب إعداد مخارج للطوارئ تكون جاهزة وكافية للتعامل مع أي حدث غير سار – حمى الله الحرمين وعمارهما وبلادنا من كل سوء – لكنها مقتضيات علمية هندسية تراعى في كل المنشآت الكبرى كان ينبغي مراعاتها في هاتين المنشأتين العملاقتين، ليسهل إدخال رجال المهام الخاصة للتعامل مع المستجدات، وأيضا لإخراج من في المسجدين بطريقة آمنة وفي وقت معقول.

كما أن البعد الروحي لم يراع كثيرا في توسعة الحرمين الشريفين فقد ورد أن المسجد الحرام تنزل عليه مائة وعشرون رحمة كل يوم، ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين(١). والكعبة المشرفة الآن لا يمكن أن ترى في الجزء الجديد إلا من أماكن محدودة، الأمر الذي لا يتيح رؤية الكعبة المشرفة إلا للقليل من المصلين، ولا تفسير لهذا إلا بأن المصمم قد ركز على الجانب المكاني الإنشائي فقط وأهمل الجانب المشهدي المهم في المسجد الحرام للحاج والمعتمر الذي يتوق إلى رؤية الكعبة المشرفة مدة بقائه في المسجد الحرام يذكر الله قبل الصلاة أو بعدها، يمتع قلبه وناظريه بهذه المتعة الروحية، ومن منا لا يحرص على ذلك عندما يضمه المسجد الحرام، مع أننا من حاضريه نذهب إليه حين نريد، بينما الكثير من الحجاج والعمار ربما لا يتاح لهم ذلك إلا مرة في العمر.

---

(١) كتاب إحياء علوم الدين للغزالي –كتاب أسرار الحج، ج٣ ص٤٣٨، ط دار الشعب القاهرة بدون تاريخ.

كذلك الحال في المسجد النبوي الشريف، إذ كان من المهم أن تظهر الحجرة المباركة والروضة الشريفة في جل أجزاء المسجد إن لم يكن فيه كله مما يمكن الحاج والمعتمر أن يزور ويسلم على الرسول الكريم وصاحبيه من مكان صلاته لرؤيته الحجرة المشرفة، أما عند عدم رؤيتها فإنه بعد الصلاة يتجه نحوها باحثا عنها لرؤيتها والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، فيزيد الزحام عندها وحولها وفي الأماكن الموصلة إليها. وللأسف فإنه لا يمكن الآن بعد إتمام البناء القيام بأعمال تذكر لتحقيق هذا، لكن على كل حال قدر الله وما شاء فعل، ،إلا أننا نوصي أن تؤخذ هذه النقاط بعين الاعتبار مستقبلا في أي توسعة جديدة.

من الأمور المهمة اللافتة للنظر أيضا أن عدد المصلين في المسجدين الشريفين في غير المواسم يكون قليلا نوعا بحيث يشغل جزءا فقط من مساحة المسجدين العظيمة اللهم إلا في صلوات الجمع.

وبناء على هذه المعطيات فقد لا نكون بحاجة ماسة إلى إضافة توسعة جديدة للحرمين الشريفين تكون مستهدفة البعد الاستيعابي وحده، لكن يجب أن تؤخذ كل تلك العناصر والأبعاد المهمة بعين الاعتبار عند التفكير في التقليل ما أمكن من الزحام والتغلب على آثاره السلبية في الحرمين الشريفين. ولعل ما يتم تنفيذه الآن من توسعة للمسجد الحرام (توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز)- وهي توسعة كبيرة تكون آخذه في اعتبارها كل الجوانب المطلوبة حتى تكون كاملة النفع عظيمة الجدوى.

- **المبحث الأول: عناصر الزحام في الحرمين:**

وتحته مطلبان:

لابد ونحن نتطرق إلى حل لمشكلة كهذه أن نبحث عناصرها وأركانها لنجليها ونبرزها، حتى يكون الكلام عنها دقيقا محددا، حيث نتناول كل عنصر بما هو عليه الآن، وما يمكن أن يكون، وما يمكن أن يؤول إليه بعد التفكير فيه ودراسته وتنفيذ ما يقترح بشأنه. وحيث إن الحرمين الشريفين مختلف كل منهما عن الآخر فيما يحويه وفيما يؤدي في كل منهما من شعائر تؤدى في أمكنة محددة منها وفي أوقات محددة فإننا سنخص كلا منهما بحديث مستقل:

المطلب الأول: المسجد الحرام:

يختلف المسجد الحرام عن جميع المساجد، فالمسجد الحرام لا يؤم للصلاة فحسب، ولكنه يؤم من قبل الحجاج والمعتمرين الذين يأتون محرمين يتجهون إلى المطاف مباشرة فيطوفون، ثم يصلون خلف مقام إبراهيم عليه السلام، ثم يسعون بين الصفا والمروة ثم يحلقون أو يقصرون. كما أن الذي يأتي إلى المسجد الحرام ليؤدي مكتوبة يندب له أن يطوف بالبيت تحية للمسجد، فتحية أي مسجد هي ركعتان إلا المسجد الحرام فتحيته الطواف بالبيت، فإن تيسر وإلا صلى ركعتين. ومن هنا يظهر جليا أن توسعة المسجد الحرام تحتاج إلى نظرة شمولية تراعي أبعادًا كثيرة نناقشها فيما يلي:

١ - البعد الاستيعابي:

نعني به سعة المسجد الحرام لاستيعاب عدد محدد من المصلين كأن يصمم ليسع مليونا ونصف مليون مصل. وتحديد السعة مهم جدا لأن الأبعاد

الأخرى جميعها تبع لها، فلا بد من مراعاة الأبعاد الاستيعابية الأخرى كأن يهيأ مطاف يسع نسبة معينة من تلك الجموع لأداء الطواف وقس عليه سعة المسعى وقد تمت مراعاة ذلك في توسعة المسعى الأخيرة فجزى الله أولى الأمر خيرا، وسعة المصلى خلف مقام إبراهيم عليه السلام وكذلك الأبعاد الأخرى من مداخل ومخارج الطوارئ، وليتنقل هؤلاء المصلون من المعتمرين والحجاج في رحاب المسجد الحرام وإليه ومنه لأداء هذه الشعائر. ولنلق الآن نظرة حالية ومستقبلية على أعداد الحجيج لنبين الواقع الذي يعيشه المسجد الحرام حاليا ومستقبلا من حيث أعداد الحجاج وكيف أن المصلين الآن يفوقون الطاقة الاستيعابية للمسجد الحرام ناهيك عن التوقعات المستقبلية.

وقد قدرت دراسة قام بها كاتب هذا البحث أعداد حجاج الداخل والخارج، وخلصت إلى أن أعدادهم ستستمر في الزيادة لتصل في عام ١٤٦٣هـ إلى ٥,٢٤ مليون حاج تقريبا حسب تصور أول (١) لعدد الحجاج في العام المذكور، بينما يصل عدد الحجاج إلى ١٤,١٤مليون حاج حسب تصور ثان في العام نفسه ١٤٦٣هـ، كما بينت الدراسة أيضا أن الأعداد التي

(١) قدرت أعداد الحجاج مستقبلا لثلاثين سنة قادمة بتقدير عدد السكان المسلمين بناء على ما أوضحه معدل النمو السكاني لعدة سنوات سابقة ثم ضرب العدد الكلي في ٠,١ الذي هو النسبة المسموح بها للحج من عدد سكان كل دولة وهذا ما أسميناه التصور الأول. أما التصور الثاني فمبني على تقدير لعدد المسلمين في العالم بنفس المنهجية السابقة مع السماح لراغبي الحج جميعهم أداءه. كتاب حلول مقترحة لتخفيف حدة الزحام في مناسك الحج، من صفحة ٣٤ وحتى صفحة ٤٢... مطابع الستين، السعودية

تغشى الحرمين الشريفين في موسمي رمضان والحج تفوق كثيـرًا سـعتهما الاستيعابية فمثلا في صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان عام ١٤٣٣هـ زاد عدد من أدوا صلاة الجمعة بالمسجد الحـرام عـن ١,٥مليـون مصـل،[١] وامتلأت جنبات المسجد وأروقته وأدواره وامتدت صفوف المصـلين إلـى خارج منطقة الساحات لتصل إلى الشوارع والطرقات المطلة على المسـجد الحرام، وحيث إن السعة القصوى للمسجد الحرام ثلاثة أرباع مليون حاج فإن ثلاثة أرباع مليون حاج على الأقل قد قصدوا الحرم وأدوا الصلاة خارجه أو أداها بعضهم داخله وتسببوا في زحام شديد وهو الحاصل في الغالب مما قد يترتب عليه ما لا نود أن يحدث أو نراه، كما أن أعداد المصلين فـي ليلـة السابع والعشرين من نفس الشهر قدرت بأكثر من (٢مليون)[٢]، ومـن هـذا يتضح زيادة تلك الأعداد عن الطاقة الاستيعابية للمسجد الحرام.

٢ - البعد الحركي (التنقل):

يتضح تأثير هذا البعد في الزحام الشديد الذي يحدث في مداخل المسجد الحرام ومخارجه، نتيجة لمحدودية مساحة فتحاتها إذا ما قورنـت بمسـاحة المسجد ذاته وبأعداد المصلين، حيث يكون الازدحام فيها شـديدًا قبـل أداء الصلوات وبعد الانتهاء منها – خاصة في موسمي رمضان والحج – وكذلك في ذهاب الحجاج والمعتمرين إلى الطواف والسعي والمقام والخروج منهـا. فمثلا في المطاف ذاته عندما يبتدئ الحاج أو المعتمر الطواف يجد نفسه في

---

(١) صحيفة المدينة، تاريخ ٢٠١٢/٨/١١م الموافق ١٤٣٣/٩/٢٣هـ.

(٢) وكالة الأنباء الإسلامية الدولية

http://www.iinanews.com/ar/index.php/27-1879/43-47-22-22-07-2012

وضع معاكس لتيار بشري قوي، حيث يتصادم مع الجموع التي أتمت الطواف وترغب في مغادرة المطاف إلى المسعى، أو إلى مقام إبراهيم عليه السلام لأداء ركعتي الطواف. وحين يصل الطائف قبالة الركن اليماني يتباطأ السير أو يكاد يتوقف لأن هذا الجزء من المطاف (ما بين الركنين) ضيق نسبيا إذا ما قورن بالجهات الثلاثة الأخرى، وكان وجود الخط الرخامي المشير إلى الحجر يسهم بدرجة كبيرة جدا في بطء الحركة وتوقفها لكن أزيل والحمد لله – جزى الله المسؤولين خيرا –[(١)]. فإذا ما تخطى الطائف ذلك اصطدم مرة أخرى بالمصلين خلف مقام إبراهيم عليه السلام، حيث تتعثر القدم في أجسام الساجدين الذين يصعب على الطائفين رؤيتهم أثناء الطواف.

٣ - البعد الزماني:

خصص الله تعالى أوقاتا محددة لأداء الركن الخامس (الحج) حيث قال عز من قائل ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾[(٢)] فيفد الحجاج من منتصف شهر القعدة ويغادرون ابتداء من منتصف شهر الحجة، أي أن أعداد المصلين من منتصف القعدة وحتى منتصف الحجة تكون أكبر ما يمكن وذلك ما يسمى بموسم الحج، كما أن أفضل الشهور شهر رمضان وفيه العشر الأواخر وفيه

(١) تمت إزالته والحمد لله بعد الورقة العلمية التي ألقيت ونشرت من قبل المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي: عمر سراج أبورزيزة، ندوة مشكلة الزحام في الحج وحلولها الشرعية، "رؤية جديدة لتخفيف الزحام في المسجد الحرام". ٢٥-٢٧ ذو القعدة، ١٤٢٣هـ.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٩٧.

ليلة القدر وعمرة فيه تعدل حجة[١] وفي رواية"حجة معي"[٢] أي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك يحرص الكثير من المسلمين على أداء عمرة رمضان وذلك ما يسمى بموسم رمضان. ما نريد أن نوضحه أن أعداد المصلين والحجاج والمعتمرين موسمية تختلف اختلافا واضحا في المواسم عنها في غيرها، فبينما يمتلئ الحرم وساحاته تماما ويزدحم المصلون في موسمي رمضان والحج وفترات من الصيف يبقى فترة دون زحام. ويمكن أن نطلق على هذا التغير الشهري في أعداد المصلين .

كما أن هناك تغيرا يوميا في أعداد المصلين خلال أيام الأسبوع، لا يخطئ ذلك من يداوم التردد على المسجد الحرام، فعدد الذين يرتادونه في يومي الخميس والجمعة (عطلة الأسبوع) خاصة في صلاة الجمعة يختلف كثيرا عن أعداد المصلين في أيام الأسبوع العملية (السبت – الأربعاء)، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه التغير اليومي في أعداد المصلين.

كما أن هناك تغيرا ساعيًا حيث يحرص الحجاج والمعتمرون وعدد كبير من المواطنين والضيوف العاملين في مدينة مكة المكرمة على أداء الصلوات المكتوبة والجمع والأعياد والنوافل من تراويح وتهجد جماعة في المسجد الحرام، خلف أئمته الأفاضل، فتجدهم قبيل كل صلاة يأتون من كل صوب تجاه المسجد الحرام زرافات ووحدانا، إلى أن تقام الصلاة فيزدحم الناس عند الأبواب، ثم يخف ذلك الزحام لأداء الصلاة، ثم يتكرر هذا المنظر بعيد انتهاء

---

(١) صحيح البخاري حديث ١٧٨٢ ص ١٣٩، موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة، دار السلام للنشر والتوزيع –الرياض، إشراف ومراجعة فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

(٢) المرجع السابق حديث ١٨٦٣ ص ١٤٥.

الصلاة حيث يعود المصلون إلى مساكنهم، وهذا ما اسميه بالتغير الساعاتي إن جاز التعبير.

إن مجئ المصلين ودخولهم المسجد الحرام، وتحركهم فيه، ومغادرتهم له في وقت واحد يؤدي قطعًا إلى ازدحام كبير، وبخاصة عند مداخل المسجد الحرام. وبداهة فإنه كلما زاد الزحام - حين يزيد عدد المصلين في الحرمين الشريفين على ثلاثة ملايين مصل، كما حصل في ليلة ختم القرآن في ليلة التاسع والعشرين من رمضان سنة ١٤٣٣هـ(١) -، يزداد احتمال حدوث مشاكل الزحام.

ونظرًا لعدم توافر المعلومات المتعلقة بأعداد المصلين الداخلين إلى المسجد الحرام والخارجين منه، ونظرًا لعدم توافر المعلومات المتعلقة بأعداد المصلين الداخلين إلى المسجد النبوي والخارجين منه أوقات الصلاة فقد لجأ الباحث إلى استخدام النسب بدلا من الأعداد ذاتها. كما افترض أيضا أن جموع المصلين التي تلج المسجد الحرام لأداء كل صلاة من الصلوات المكتوبة - عدا الجمعة - متقاربة في أعدادها إن الزحام الشديد يستغرق قرابة ساعة واحدة خمس مرات في اليوم والليلة، إضافة إلى الوقت اللازم لأداء الصلاة نفسها، أي أن الزحام الشديد يحدث خلال ما يقرب من ست ساعات في اليوم والليلة. أما في الساعات الباقية وهي ثماني عشرة ساعة فإنه يصبح خفيفًا نسبيًا.

---

(١) أكثر من ٣ ملايين مصل يشهدون ختم القرآن بالحرمين الشريفين، جريدة المدينة، العدد ١٤٤٦٩.

٤ - البعد المشاهدي (مشاهدة الكعبة):

لم يراع في التوسعتين العملاقتين[١] هذا البعد (المهم) للمصلين والذاكرين في المسجد الحرام، فالمصلي والذاكر يحب أن يقع ناظره على الكعبة المشرفة، وما ورد من الآثار في فضل الكعبة والنظر إليها أمر جلي لا يحتاج مزيد بيان، ويكفي أن أذكر ما ورد في الأثر أن المسجد الحرام تتنزل عليه مائة وعشرون رحمة كل يوم، ستون للمصلين، وأربعون للطائفين، وعشرون للناظرين[٢]. وقد لا يكون مجديا الآن الحديث عن ما تم في المسجد الحرام عند التوسعات السابقة من إغفال تمكين المصلين أو الذاكرين من مشاهدة الكعبة المشرفة في الكثير من أماكن المسجد الحرام، حيث إن تنسيق ووضع الأعمدة حينما وضعت معماريا لم تأخذ ذلك بعين الاعتبار بالقدر الكافي، وأصبح هذا التنسيق الآن علما قائما له متخصصوه. ومن ثم فإنه يجب التوصية بأخذ ذلك في الاعتبار عند أي توسعة جديدة، وعمل ما يمكن عمله الآن بعد أن صارت كما قلت هذه الأمور علما له علماؤه المتخصصون.

وقد يسأل سائل وما علاقة هذا بالزحام في المسجد الحرام؟ وربما هو على حق، وأقول: هذا أحد عناصر التوسعة التي كان من الواجب أخذها في الاعتبار، فربما كانت إتاحة رؤية الكعبة من أي مكان في المسجد عاملا من عوامل تخفيف الزحام في الأماكن التي ترى فيها. فأحببنا أن ننوه عنها حتى تؤخذ في الاعتبار في التوسعات المستقبلية للمسجد الحرام.

---

(١) لم تتضح للكاتب بعد ملامح التوسعة السعودية الأخيرة لذا يتعذر الكتابة عنها الآن..

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي –سبق تخريجه.

٥ - بُعد منافذ الطوارئ:

أي عمل بشري معرض للخطأ وهو ما يسمى في علم التخطيط والإدارة بالخطأ البشري. ودائما ما يخطط له ليتدارك وتتجنب نتائجه السيئة ما أمكن. ومن هذه الاحتياطات في الأماكن التي تتجمع بها أعداد بشرية كبيرة منافذ الطوارئ وهي كما يدل اسمها عليها منافذ أو مخارج تفتح فقط عند حدوث أي طارئ لا سمح الله. وحساب عدد منافذ المخارج ومساحة كل مخرج وموقعه في المسجد الحرام يحتاج إلى دراسات متخصصة، وكان بودي أن تأخذ التوسعتان السابقتان ذلك في الاعتبار . وهذا الأمر لا غنى عنه ألبتة ويجب أن يفكر فيه المسؤولون من الآن، ويسعون إلى دراسته وتنفيذه في أسرع وقت ممكن.

٦ - توافق أو تزامن الذروات:

قد تجتمع ذروتا زحام في وقت واحد كأن يتوافق أن تكون ليلة السابع والعشرين أو ليلة ختم القرآنه ليلة جمعة مما يزود الرغبة عند الكثير من المسلمين في إحيائها بأداء عمرة أو حضور ختم القرآن الكريم في المسجد الحرام حرصا على إدراك فضلين فضل ليلة القدر وفضل ليلة الجمعة، والمولى كريم، والأعمال بالنيات.

وعليه فإننا بشيء من التنظيم، وبتوزيع هذه الذروات على أوقات متعددة نتمكن بحول الله من تخفيف الزحام ما أمكن، وذلك بتقليل العدد الوارد إلى الحرمين الشريفين في أوقات الصلوات المكتوبات، في محاولة منا لاستغلال الساعات المتبقية من اليوم والليلة. وبلغة الإحصائيين فإن المقصود هو تقليل قيم الذروات، وإعادة توزيع الحجاج ومن ثم تخفيف حدة الزحام. ويمكننا الوصول إلى ذلك بإعادة التوزيع ليصبح توزيعًا منتظما ما أمكن.

المطلب الثاني: المسجد النبوي الشريف:

لا تختلف عناصر المشكلة في المسجد النبوي الشريف عنها في المسجد الحرام، اللهم، إلا في الأماكن التي يشتد فيها الزحام داخل كل حرم منهما، وبعد ذلك فإن ما ذكرته في حديثي عن المسجد الحرام ينطبق على المسجد النبوي الشريف سواء بسواء.

١ - البعد الاستيعابي:

سبق أن بينت أن مساحة المسجد النبوي الشريف تقدر في الوقت الحالي ب ٩٨,٣٢٧م٢ وإذا كان المتر المربع يكفي لاثنين من المصلين وإذا وضعنا في الاعتبار ما بينت سابقا من أن عدد الحجاج قد وصل الآن أي في عام ١٤٣٣هـ بين ٣,٥ – ٤,٣٥ مليون حاج فإن حجم المشكلة التي نواجهها سيتضح لنا، حيث إن زيادة العدد عن الطاقة الاستيعابية للمكان تنذر دائما بعواقب غير مرغوب فيها، لكن كما أحب أن أقول دائما لا يمكن اعتماد الحل الإنشائي وزيادة المساحة كحل أوحد لمشكلة الزحام.

لقد نشرت صحفنا المحلية حصرا تقريبيا لأعداد المصلين في المسجد النبوي الشريف في العشر الأواخر من رمضان عام ١٤٣٣هـ وقدرته بحوالي مليون ونصف مصل، وقد لاحظ الباحث كما لاحظ غيره ممن أموا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الفترة العدد الهائل من المصلين هناك حتى شوهدت أعداد كبيرة تصلي خارج المسجد في ساحاته وفي الشوارع المحيطة به.

كما أن هناك مشكلة موسمية أيضا عند بعض المداخل تحتاج إلى مزيد بحث سأتطرق إليها إن شاء الله في حديثي الخاص عن الحلول الخاصة بالمسجد النبوي الشريف.

٢ - البعد الحركي:

عند مكان الزيارة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبيه والأبواب القريبة من هذه المنطقة يدرك المشاهد مدى صعوبة الحركة، والمشقة التي تلحق الزوار في المواسم نظرا لضيق المكان وتضاد حركة القادمين للزيارة مع حركة المنصرفين بعد أدائها والمتجهين إلى خارج المسجد أو الداخلين إليه حيث إن الأبواب المجاورة قريبة من مكان الزحام ويسمح فيها بالدخول والخروج معا. وهذا أمر يتطلب التفكير في حل تقليدي له وغير تقليدي أيضا.

٣ - البعد الزماني:

أوقات الصلوات المكتوبة في أيام الحج والعمرة، وصلاة الليل في رمضان، وصلاة العيدين والجمع أيام المواسم هي الأوقات التي يكون فيها الزحام على أشده في المسجد النبوي الشريف كما هي في المسجد الحرام.

ورصد الزحام من قبل المعنيين بالأمر يثبت ما قدمت، وهذا منشور ومعلن، ومن هنا فإن توزيع ذروة الزحام الشديدة العلو إلى ذرا أقل ارتفاعا سيكون شيئا مجديا – إن شاء الله – في حل المشكلة بجانب الحلول المساعدة الأخرى.

كما أن أخذ هذا الجانب بمزيد اعتبار يدفعنا أيضا إلى العمل على توزيع أعداد المعتمرين التي تزيد جدا في شهر رمضان على شهور العام بآليات سهلة التنفيذ على الوجه الذي أبينه لاحقا إن شاء الله.

تتشابه معظم أبعاد الزحام في المسجد النبوي مع المسجد الحرام. وكما أن للمسجد الحرام خصوصية في انفراده بالمطاف والمسعى والمقام فإن

للمسجد النبوي الشريف خصوصية أخرى بوجود الحجرة الشريفة والروضة الشريفة، فالطاقة الاستيعابية للمسجد النبوي الشريف قد زادت كما بينا من ٢٠,٠٠٠ مصل إلى مصل ١٨٠,٠٠٠ بل إلى ٤٥٠,٠٠٠ مصل إلا أن مكان الزيارة قد بقي كما هو تماما ولأهميته سنوليه بعض العناية والرعاية. وستولى الروضة الشريفة اهتماما خاصا حيث إن مساحتها محدودة جدا تبلغ ٣٣٠ م٢، كما أن المخارج من الروضة الشريفة إلى منطقة الزيارة ومنها إلى خارج المسجد أيضا بقيت تقريبا على حالها القديم،

البعد المشاهدي للحجرة الشريفة:

مما لا شك فيه أن زائر المسجد النبوي الشريف يكون حريصا كما ذكرت على رؤية الحجرة الشريفة كلما دخل المسجد ليسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما خاصة إن كان من غير المقيمين بالمدينة المنورة إقامة دائمة، بل إن المقيم أيضا يسره ويبهجه أن تقع عيناه على الحجرة كلما ضمته جنبات المسجد الشريف، نعم من الممكن أن يسلم المرء على الرسول دون رؤية الحجرة، بل ومن مكان خارج المسجد، ويرد عليه المصطفى الأعظم عليه السلام كما ورد في الحديث الصحيح، ولكن الحجرة لما لها من جلال ومنزلة في نفوسنا فإن رؤيتها تضفي على الروح راحة وسكينة يتلذذ بها الزائرون.

رغم الزيادة الكبيرة في أعداد الزوار الأمر الذي يتطلب مناقشة خاصة. وغير خاف أن أي زائر للمسجد النبوي الشريف يحرص على مشاهدة الحجرة النبوية الشريفة كلما دخل المسجد، ولكن التوسعة لم تلق إلى ذلك بالا كبيرا فانحصرت رؤيتها في أماكن محددة لا تناسب مساحاتها مساحة المسجد النبوي الشريف بما يعني عدم رؤية الحجرة المباركة إلا من أماكن قليلة.

- **المبحث الثاني: حلول تنظيمية مقترحة:**

وتحته مطلبان:

تمهيد:

تضمن البحث فيما سبق إشارة إلى أن الحل الإنشائي بإضافة مساحات جديدة إلى كل من الحرمين الشريفين ليس هو الحل الأوحد لمشكلة الزحام،لأن أعداد الحجيج والمعتمرين في ازدياد مستمر مطرد، ولا بد للتوسع في الإنشاء من حد يتوقف عنده، ثم إن للزحام مواسمه التي يختفي بعدها حتى يدور العام ويكون الموسم أو المواسم التالية، وبين هذا الموسم وذاك يظل الحرمان بمبانيهما الفسيحة وساحاتهما الرحبة خاليين إلا من بضعة صفوف خلف الإمام، ومن هنا كان توجه الباحث إلى اقتراح شيء من التنظيم يراه ذا أثر في تحقيق الهدف (تخفيف الزحام) مع عدم الحاجة إلى تمويل يذكر.

والحلول التنظيمية نوعان:

المطلب الأول: الحل العام: وهو حل للزحام في الحرمين معا:

تكرار الصلوات:

إذا أقيمت جماعة واحدة للفريضة أو للنافلة التي يجتمع لها الناس فإن الجميع يحرص على حضورها، ومعنى ذلك أن يشهد المسجدان زحاما شديدا وهذا هو ما نراه واقعا الآن، مع أن تكرار صلاة الجماعة لهذه الصلوات عدا المغرب لضيق وقته أمر صحيح ما دامت قد أديت داخل حدود الوقت سواء في أوله أو أوسطه أو آخره في غير وقت الكراهة فيما له وقت كراهه من الصلوات، وأدلة هذا ظاهرة، كما أن العلماء متفقون على أن تكرار صلاة

الجماعة في المساجد التي ليس فيها إمام راتب كتلك المساجد الموجودة على طرق السفر أمر مشروع لا كراهة فيه، وذلك لأن هذه المساجد ليس لها أهل معلومون إنما أهلها كل من مر بها، ومن كان هذا شأنه كان له أن يصلي في المسجد إذا حضره في أي وقت سواء صلى جماعة أو منفردًا ولا شأن له بغيره.

ثم اختلفوا بعد ذلك في حكم تكرار الجماعة في المسجد الواحد الذي له إمام راتب وأهل معلومون وهو ما يعرف بمسجد المَحِلَّة وأشهر ما ورد في ذلك قولان:-

١- ذهب أبوحنفية ومالك والشافعي إلى كراهة تكرار الجماعة في مسجد المحلة ولو أذن الإمام الراتب في ذلك وهو قول سفيان الثوري وابن المبارك، جاء في كتاب الأم" وإذا كان للمسجد إمام راتب، ففاتت رجلا أو رجالا فيه الصلاة صلوا فرادى، ولا أحب أن يصلوا جماعة، فإن فعلوا أجزأتهم الجماعة فيه، وإنما كرهت ذلك لهم لأنه ليس مما فعل السلف قبلنا، بل قد عابه بعضهم. وأحسب كراهية من كره ذلك منهم إنما كان لتفرق الكلمة أو أن يرغب رجل عن الصلاة خلف إمام جماعة فيتخلف هو ومن أراد عن المسجد في وقت الصلاة فإذا قضيت الصلاة دخلوا فجمعوا فيكون في هذا اختلاف وتفرق كلمة، وفيهما المكروه وإنما أكره هذا في كل مسجد له إمام ومؤذن"(١).

(١) الدين الخالص للسبكي،ج٣ ص١٣٣-١٣٤،ط٣-١٤٠١هـ، وانظر الأم للشافعي ،ج٢ ص ٢٩٢،تحقيق د.رفعت فوزي عبدالمطلب ط.دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصور مصر ٢٠٠١.

٢- وذهب الإمام أحمد وهو قول ابن مسعود وأنس وداود واسحق إلى عدم كراهة تكرار الجماعة فيما عدا المسجد الحرام، والمسجد النبوي الشريف، والمسجد الأقصى[١].

الأدلة:

استدل الشافعية والحنفية والمالكية على ما ذهبوا إليه من كراهة تكرار الجماعة في مسجد المحلة بالسنة و الأثر والمعقول. أما السنة فمنها:

ما رواه الطبراني بسنده إلى أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد خرج ليصلح بين قوم فعاد إلى المسجد وقد صلى أهل المسجد فرجع إلى منزله فجمع أهله وصلى[٢]، وجه الدلالة هو أنه لو كان تكرار الجماعة مشروعًا في المسجد لفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولَما اختار الصلاة في بيته وقدمها على الصلاة في المسجد.

ويناقش هذا من وجوه:

الوجه الأول: لا يلزم من قول صاحب المجمع هذا الحديث رجاله ثقات أنه صحيح لاحتمال أن يكون فيه مدلس ورواه بالعنعنة أو يكون فيهم مختلط

---

(١) المرجع السابق.وانظر المحلى.لابن حزم ،ج٤ ص ٢٣٦-٢٣٧، باب الخلاف في جواز تعدد الجماعة في المسجد،تحقيق محمد منير الدمشقي،ط١ إدارة الطباعة المنيرية القاهرة ١٣٥٢هـ.

(٢) مجمع الزوائد، لأبي بكر الهيثمي،ج٢ص١٣٥،باب فيمن جاء إلى المسجد فوجد الناس قد صلوا، ط. دار الكتب العلمية -بيروت لبنان .تحقيق محمد عبدالقادر عطا،ط١ ١٤٢٢هـ.

ورواه عن صاحبه بعد اختلاطه، أو يكون فيهم من لم يدرك من رواه عنه، أو يكون فيه علة أو شذوذ(١).

الوجه الثاني: ذكر صاحب"العرف الشذي" أن فيه معاوية بن يحيى وهو متكلم فيه، كما أن الحافظ الذهبي ذكر هذا الحديث في"الميزان" ضمن المناكير وهذا يجعل الحديث غير صالح للاحتجاج به.

الوجه الثالث: إن الحديث لم ينص على أن الرسول صلى الله عليه وسلم جمع أهله فصلى بهم في منزله، بل يحتمل أن يكون صلى بهم في المسجد، وكان ميله إلى منزله لجمع أهله لا للصلاة فيه، وحينئذ يكون هذا الحديث دليلاً لاستحباب الجماعة في مسجد قد صُلِّيَ فيه مرة لا لكراهتها(٢).

الوجه الرابع: لو سُلِّم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بأهله في منزله فإن هذا لا يثبت كراهة تكرار الجماعة في المسجد، بل غاية ما يثبت منه أنه لو جاء رجل في مسجد قد صلي فيه فيجوز له أن لا يصلي فيه

---

(١) ثقة الرجال صحة الحديث حتى ينتفي منه الشذوذ والعلة، نصب الراية لأحاديث الهداية للإمام الحافظ جمال الدين أبي محمد عبد الله يوسف الزيلعي الحنفي،ج١ ص٣٤٧، ط١ ١٤١٨هـ، مؤسسة الريان بيروت لبنان،دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة. وقال الحافظ ابن حجر في " التلخيص " في الكلام عن بعض روايات حديث بيع العينة : لا يلزم من كون رجال الحديث ثقات أن يكون صحيحاً، انتهى. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلاني ت(٨٥٢)،ج٣ ص٢٠مؤسسة قرطبة،دار المشكاة للبحث العلمي ،ط١ ،١٤١٦هـ.

(٢) ذكر هذا الوجه المباركفوري في الأحوذي، حيث أن بعض العلماء في الهند قد صنفوا رسالة حسنة جيدة في الرد على من رأى أن يصلي الناس فرادى وذكر منها هذا الوجه. تحفة الأحوذي بشرح الترمذي،للحافظ المباركفوري، ج٢ ص١٠-١١، ط دار الفكر.

بل يخرج منه فيميل إلى منزله فيصلي فيه بأهله، وأما أنه لا يجوز أن يصلي في ذلك المسجد بالجماعة أو يكره له ذلك فلا دلالة عليه ألبتة كما أن الحديث لا يدل على كراهة أن يصلي فيه منفردًا، والقاعدة الأصولية تنص على أن الإثبات مقدم على النفي (حديث من يتصدق على هذا).

الوجه الخامس: لو ثبت من هذا الحديث كراهة تكرار الجماعة لأجل أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل في المسجد لثبت منه كراهة صلاة المنفرد أيضًا في مسجد قد صلي فيه، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يصل في المسجد منفردًا ولا في الجماعة.

وأما الأثر فمنه:

ما روي عن أنس بن مالك أنه قال: كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فاتتهم الجماعة صلوا فرادى. [1]

ويناقش هذا بأن هذا لم يثبت عن أنس بن مالك في كتب الحديث ألبتة بل ثبت خلاف ذلك، وسيأتي بيانه لاحقا إن شاء الله.

وأما المعقول فمنه:

أن إجازة تكرار الجماعة في المسجد بلا كراهة يؤدي إلى تهاون الناس وزهدهم في الجماعة الأولى الراتبة لعلمهم أن الجماعة لا تفوتهم ويمكنهم إدراك الجماعة الثانية أو الثالثة، ومطلوب من المسلم أن يحرص على أفضل الأعمال إذ فيها أفضل الثواب وامتثالاً لقوله تعالى ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

---

(١) بدائع الصنائع للكاساني ج١ ص١٥٣،كتاب الصلاة فصل بيان كيفية الأذان، ط٢ ١٤٢٤....دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

(٢) سورة آل عمران الآية (١٣٣).

ويناقش هذا بأنه صحيح عند عدم وجود عذر كعذر الزحام أو ضيق المسجد بحيث يستحيل أو يصعب أن يسع المسجد المصلين ولكن عند عذر الزحام أو ضيق المسجد تترك المصلحة الأقل لدفع الضرر الأعظم، ورفع الحرج من سمات هذا الدين العظيم قال تعالى ﴿.. وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ..﴾[١].

وأما مشروعية تكرار الجماعة إذا ضاق المسجد على أهله فلأن فيه رفعًا للحرج عنهم ودفعًا للحاجة. وأما تكرار الجماعة خوف فوات الوقت لأن الحفاظ على الوقت واجب وتكرار الجماعة بغير إذن الإمام مكروه ولأن تكرار الجماعة في هذه الصورة ليس فيه مكيدة أو انتقاص للإمام.

واستدل الحنابلة على عدم كراهة تكرار الجماعة في المسجد بغير الإمام الراتب وفي غير مسجدي مكة و المدينة بالسنة والآثار:

أما السنة فمنها:

١- ما رواه أبو داود بسنده إلى أبي سعيد قال:"جاء رجل وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيكم يتصدق على هذا ؟ فقام رجل فصلى معه"[٢]، ووجه الدلالة هو أن تكرار الجماعة لو كان غير مشروع ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه أمر به فدل على مشروعيته.

---

(١) سورة الحج من الآية (٧٨).

(٢) سنن أبي داود ،باب في الجمع بين المسجد مرتين، حديث رقم ٥٧٤،ص ١٢٦٦، موسوعة الحديث الشريف –الكتب الستة،مرجع سابق.وسنن الترمذي،باب ما جاء في الجماعة في مسجد قد صلى فيه مرة، حديث رقم ٢٢٠،ص١٦٥٨، بلفظ " ...أيكم يتجر على هذا ...." نفس المرجع.

٢- ما رواه أبى بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال"صلاة الرجل مع الرجل أزكى، وصلاته مع الرجلين أزكى من الرجل الواحد، وما كان أكثر فهو أحب إلى الله"(١)، ووجه الدلالة من الحديث هو أن هذا نص صريح بأن صلاة الرجل مع الرجل أفضل من صلاته وحده، ولو قلنا: بعدم جواز تكرار الجماعة في المسجد لزم أن نجعل المفضول فاضلاً، وهذا خلاف النص.

وأما الأثر فمنه:

١- ما رواه البخاري في صحيحه : «وَكَانَ الْأَسْوَدُ إِذَا فَاتَتْهُ الْجَمَاعَةُ ذَهَبَ إِلَى مَسْجِدٍ آخَرَ، وَجَاءَ أَنَسٌ إِلَى مَسْجِدٍ قَدْ صُلِّيَ فِيهِ فَأَذَّنَ وَأَقَامَ وَصَلَّى جَمَاعَةً»، انتهى(٢)، ووجه الدلالة من الأثر هو أن أنس بن مالك رضي الله عنه كرر الجماعة في المسجد، وهذا دليل على علمه بما يجيز ذلك إذ إن هذا مما لا يدرك بالرأي ولا الاجتهاد.

٢- ما رواه ابن أبي شيبة بسنده إلى سلمة بن كهيل أن ابن مسعود دخل المسجد وقد صلوا، فجمع بعلقمة ومسروق والأسود(٣)، ووجه دلالة الأثر كما مر بيانه.

---

(١) سنن أبي داود، باب فضل صلاة الجماعة، حديث رقم ٥٥٤، ص ١٢٦٤-١٢٦٥، موسوعة الحديث الشريف –الكتب الستة، مرجع سابق

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة ،ص٥٢، موسوعة الحديث الشريف –الكتب الستة،مرجع سابق.

(٣) المصنف لأبي شيبة، ٣٢٢/٢،تحقيق أبي محمد أسامة بن إبراهيم بن محمد، الناشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر–القاهرة، ط١-١٤٢٩هـ.

وأما استثناؤهم مسجدي مكة والمدينة فلما يأتي:

١- إن عدم مشروعية تكرار الجماعة في المسجدين المذكورين يؤدي إلى توفير الجماعة وتكثيرها، لأن الناس لن يتهاونوا في إدراك تلك الجماعة ولو شرع التكرار لتهاونوا وقلت الجماعة.

ويناقش هذا بإمكان صحته في الأوقات العادية، أما في الزحام ففيه نظر. يضاف إلى ذلك أن هذا اجتهاد يعارض النص المذكور في صدر أدلتهم (الحنابلة) ولا اجتهاد مع النص.

٢- القول بمشروعية تكرار الجماعة في المسجدين المذكورين يؤدي إلى وجوب تعيين أكثر من إمام راتب للوقت الواحد، كما أن هذا يترتب عليه ترك فضيلة إدراك أول الوقت وكثرة الجماعة كما مر.

ويناقش هذا بأن تعيين أكثر من إمام راتب في المسجد أمر مشروع وهو المعمول به في الحرمين الشريفين الآن، وأما ترك فضيلة أول الوقت فيجوز للعذر كما نص العلماء عليه، والزحام عذر قوي يبيح ترك وقت الفضيلة في سبيل إدراك الخشوع وأداء العبادة بيسر(١).

(١) سُئل عطاء عن نفر دخلوا مسجد مكة – أي المسجد الحرام – خلاف الصلاة ليلاً أو نهاراً. أيؤمهم أحد ؟ قال نعم، وما بأس ذلك ؟ وعن حماد بن سلمة عن عثمان البتي قال : دخلت مع الحسن البصري وثابت البناني مسجداً قد صلى فيه أهله فأذن ثابت وأقام وتقدم الحسن فصلى بنا فقلت يا أبا سعيد أما يكون هذا ؟ قال وما بأسه ؟ المحلى لابن حزم ،ج٤ ص٢٣٨،باب الخلاف في جواز تعدد الجماعة في المسجد،تحقيق محمد منير الدمشقي،ط١ إدارة الطباعة المنيرية القاهرة ١٣٥٢هـ.

الرأي الراجح:

مما سبق يتبين لي رُجحان القول بعدم كراهة تكرار الجماعة في المسجد الواحد ولو كان هذا المسجد أحد المسجدين العظيمين (مكة والمدينة)، وذلك لما يأتي:-

١- لم يثبت عن الشارع نص قطعي الدلالة يفيد خلاف ذلك.

٢- إن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما، فالقول بكراهة التكرار معلول بتفرق الكلمة وتخلف الناس عن الجماعة في وقت قد أقيمت الصلاة فيه. وهذه العلة منتفية الآن؛ حيث إن الحجاج والعمار الآن بالملايين وجميعهم يحرص على حضور الجماعة في المسجدين، ومنهم الضعفاء من المرضى والشيوخ والنساء، وليس في طاقة أي مسجد استيعاب هذه الأعداد التي تتنامى بصورة واضحة.

٣- مناقشة جميع أدلة المخالفين لذلك الرأي والرد عليهم.

إن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، الذي هو محور حُجَة من أجاز تكرار صلاة الجماعة في المسجد لا يتعارض مع حديث أبي بكرة رضي الله عنه الذي هو محور حُجَة من كره تكرار صلاة الجماعة في المسجد، ولا دليل على نسخ أي منهما للآخر، لذا - فإن علماء أصول الحديث يلجؤون إلى الجمع بين الحديثين ما أمكن، لأن العمل بالدليلين أولى من إهمال أحدهما، فأحدهما يدل على جواز تكرار الجماعة في المسجد، والآخر يدل على جواز أن يجمع الرجل بأهله في البيت إذا فاتته الجماعة، وليس في أحد الحديثين إلزام، ومن ثم فلا تعارض. كما أن من الملاحظ أن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فيه قول وطلب من سيدي رسول الله

صلى الله عليه وسلم، بل وتطبيق عملي للقول، بينما حديث أبي بكرة رضي الله عنه ليس فيه قول بل هو سنة عملية، وعند علماء أصول الفقه السنة القولية مقدمة في الاستدلال بها عن السنة العملية فكيف إذا كان قولاً وعملاً. أضف إلى ذلك أنه ليس في عدم الفعل دلالة على التحريم أو الكراهة، كما أنه ليس في فعل أمر دلالة على تحريم نقيضه. كذلك إذا اختلف العلماء الثقات في مسألة شرعية إذا كان لغير المجتهد أن يختار من أقوالهم ما يناسبه ويرضاه، بشرط عدم تتبع الآراء الشاذة في كل مذهب.

ولعل مما يستأنس به في مجال تكرار صلاة الجماعة في المسجد الحرام وصلاة التراويح بوجه خاص ما صار عليه الأمر في صلاة القيام (التهجد) في الحرمين الشريفين. فأذكر أنه قد بدأ قبل خمسين سنة خلت إقامة هذه الصلاة في العشر الأواخر من رمضان في الجزء الشمالي الشرقي فقط من المسجد الحرام (عند باب النبي صلى الله عليه وسلم)، دون أن يعلن القيام لها على مستوى المسجد ككل، وكان يؤم الناس لها الإمام عبد الله الخليفي رحمه الله تعالى.

فلما كان عصر إمامة الشيخ محمد السبيل جمع الناس لها على مستوى المسجد كله، وأصبح الناس يحتشدون لها خلف أئمته، إذ يقام لها بعد أن ينتصف الليل ابتداء من الساعة الواحدة صباحا، تماما، كما يحتشدون لصلاة التراويح عقب صلاة العشاء. وأذكر أيضا أن الأئمة في بداية الأمر كانوا يوترون بالناس مرتين الأولى عقب صلاة التراويح مباشرة، والثانية عقب صلاة التهجد، ثم اقتصر الوتر بعد ذلك على أن يكون عقب القيام الأخير (التهجد) فقط، حتى يوتر الناس مرة واحدة.

ومحل الاستئناس الذي أعنيه يتمثل في أن كلا من الصلاتين التراويح

والتهجد صلاة قيام، وأنه قد أصبح عرفا مسلما به لدينا إقامة هـذه الصـلاة مرتين في الحرمين الشريفين خاصة، بل وفي معظم المساجد بمدن المملكـة على سبيل العموم في العشر الأواخر من رمضان.

وهذا التوجه مماثل لما أقترح في هذه الدراسة من تكرير صلاة التراويح في المسجد الحرام دفعا للمشقة والعنت الناتجين عن شدة الازدحام.

من هذا المنطلق، ولرفع المشقة والحرج عن الحجاج والمعتمرين بكـل الوسائل الممكنة ضمن الإطار الشرعي، وبناءً على قاعدة أن هناك متسعًا من الوقت لكل مكتوبة – ناهيك عن الأعياد والنوافل من تراويح وتهجد – فإنـه من الممكن – دونما حرج في رأيـي – أن تقـام الصـلوات المفروضـة، أو بعضها، أكثر من مرة لكل صلاة، كأن يصلي في المسجد الحرام الظهـر مرتين أو ثلاث مرات بدلاً من مرة واحدة، والعشاء ثلاث مرات بـدلا مـن مرة واحدة، وكأن تصلي في رمضان التراويح في أول الليل ومنتصفه وآخره وهكذا. وفكرة هذا المقترح عملية تنظيمية بحتة، مشابهة إلى حد ما لتكـرار صلاة القيام في العشر الأواخر من رمضان في الحرمين الشريفين، بل وفي معظم مساجد المملكة، ومشابهة إلى حد كبير لتأخير أداء صلاة العشاء فـي الأيام العادية وفي رمضان المبارك.

إن إقامة هذه الصلوات بشكل متتال –بدلا من مرة واحدة – في المسجد الحرام يحول دون حصول الذروة الموضحة في الشكل رقم (١)، ويعيـد – كما يقول علماء الإحصاء – توزيع المصلين على فترات أكبر بحيث يصبح التوزيع منتظمـاً مـا أمـكن. ومن ثم تقل بحول الله الآثار السلبية السـيئة المترتبة على الزحام. كما تلبي هذه الفكرة رغبـات الحجـيج والمعتمـرين وحرصهم على أداء المكتوبات في المسجد الحرام وخلف أئمته المبـاركين،

وسيصبح توزيع المصلين في المسجد الحرام في أيام المواسم تقريبا على مدار الساعة، وهذا لا يخفف الزحام في وسط المسجد الحرام فحسب، بل يخفف من الزحام الذي يحدث في المداخل والمخارج، ومن ثم يقلل من الآثار السيئة التي تترتب أو تنجم عن ذلك. ولسنا بحاجة – على الأقل في الوقت الحاضر – إلى تكرار هذه الصلوات على مدار السنة، بل في موسم رمضان المبارك وموسم الحج فقط.وقبل مناقشة هذه المقترحات وبيان تأثيرها المباشر وغير المباشر في تخفيف الزحام داخل الحرم وحوله في وقت الصلوات، تم حساب عدد المرات التي يمكن إقامة الصلوات المكتوبة فيها والجمع وعيد الفطر وصلاة الليل، كما هو موضح فيما يأتي.

وبناءً على هذا الترجيح يبقى على المسؤلين اتخاذ القرار بالموافقة على تكرار صلاة الجماعة في الحرمين، ويتعاون الأئمة مع وسائل الإعلام المختلفة في بيان مشروعية ذلك الأمر، وبعدها يصبح الأمر عاديًا عند الناس يألفونه ولا يعترضون عليه والله أعلم.ومن الفتاوى الحديثة التي أجازت تكرار الصلوات ما أفتى به علماء دار الإفتاء المصرية، ووزارة الشؤون الإسلامية بالكويت، وجامعة العلوم الإسلامية بماليزيا، حيث أصدرت هذه المؤسسات فتاواها بجوار تكرار صلاة الجمعة وغيرها بأكثر من جماعة، وهو المعمول به في كندا ومَراكزها الإسلامية، فهناك أكثر من ٤٠٠ مسجد تكرر فيها صلوات الجمع والأعياد، وبعض الصلوات الأخرى.فعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض المساجد التي تكرر بها صلوات الجمع والأعياد:

في أمريكا:

- في **مركز المصطفى** بولاية فرجينيا بأمريكا تقام جمعتان

- وفي **مركز آدم** بمنطقة واشنطن دي سي بفروعه العشر تقام جمعتان أو ثلاثة وتكرر صلاة العيد إلى خمس مرات.
- وفي **مسجد دار الهجرة** بشمال ولاية فرجينيا تقام ثلاث جمع.
- وفي **المركز الإسلامي** بولاية يوتا تقام جمعتان.
- وفي **المركز الإسلامي** بوسط ولاية فرجينيا تقام جمعتان.

في المملكة المتحدة:-

- وإلى القارئ الكريم صلوات عيد الفطر هذا العام أول شـــوال ١٤٣٣هـ في المركز الثقافي الإسلامي ومسجد لندن المركزي بتوقيت إقامتها كما أعلنها المركز الثقافي الإسلامي، ومسجد لندن وقد أعلنا التوقيت والأئمة الذين يؤمون المصلين:

جدول رقم (١)

م	الصلاة	الوقت	الإمام
١	صلاة العيد الأولى	تبدا في السابعة	الشيخ خليفة عزت
٢	صلاة العيد الثانية	تبدا في الثامنة	الشيخ فوزي الصديقي
٣	صلاة العيد الثالثة	تبدا في التاسعة	الشيخ فائد سعيد
٤	صلاة العيد الرابعة	تبدا في العاشرة	الشيخ عبدالسلام صالح
٥	صلاة العيد الخامسة	تبدا في الحادية عشرة	الشيخ سليمان كيبوكا
٦	صلاة العيد السادسة	تبدا في الثانية عشرة	الشيخ محمود عبدالحي

جدول رقم (١)

تكرار صلوات الجمعة في كندا:نذكر هنا بعض الأماكن على سبيل المثال لا الحصر:

جدول رقم (٢)

م	الصلاة	الصلاة الأولى	الصلاة الثانية	المكان
١	مركز الفلاح الإسلامي	١٢:٣٠م	١:٤٠م	اوكافيل
٢	مركز الرحمن لتعلم القرآن الكريم	١:٤٥م	٢:٤٥م	ميسيسوجا
٣	بوندش:مسجد في وسط المدينة	١٢:٣٠م	١:٣٠م	تورنتو
٤	المركز الإسلامي في كندا-ISNA	١٢:٣٠م	١:٣٠م	ميسيسوجا
٥	مسجد دار السلام	١٢:٤٥م	٢:١٥م	تورنتو
٦	مركز بيكرينغ الإسلامي	١:٠٠م	٢:٠٠م	بيكرينغ

جدول رقم (٢)

١ - تكرار الصلوات المكتوبة:

أ - صلاة الظهر:

بين العلماء[١] رحمهم الله تعالى أن العلة في استحباب تأخير صلاة

(١) انظر فتح الباري للعسقلاني،كتاب مواقيت الصلاة-باب الإيراد بالظهر في السفر،ص٢٠ وما بعدها. في شرح حديث ٥٣٩ الذي نصه "عن أبي ذر الغفاري قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأراد المؤذن أن يؤذن لصلاة الظهر فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبرد ......"ط.دار المعرفة، بيروت لبنان.

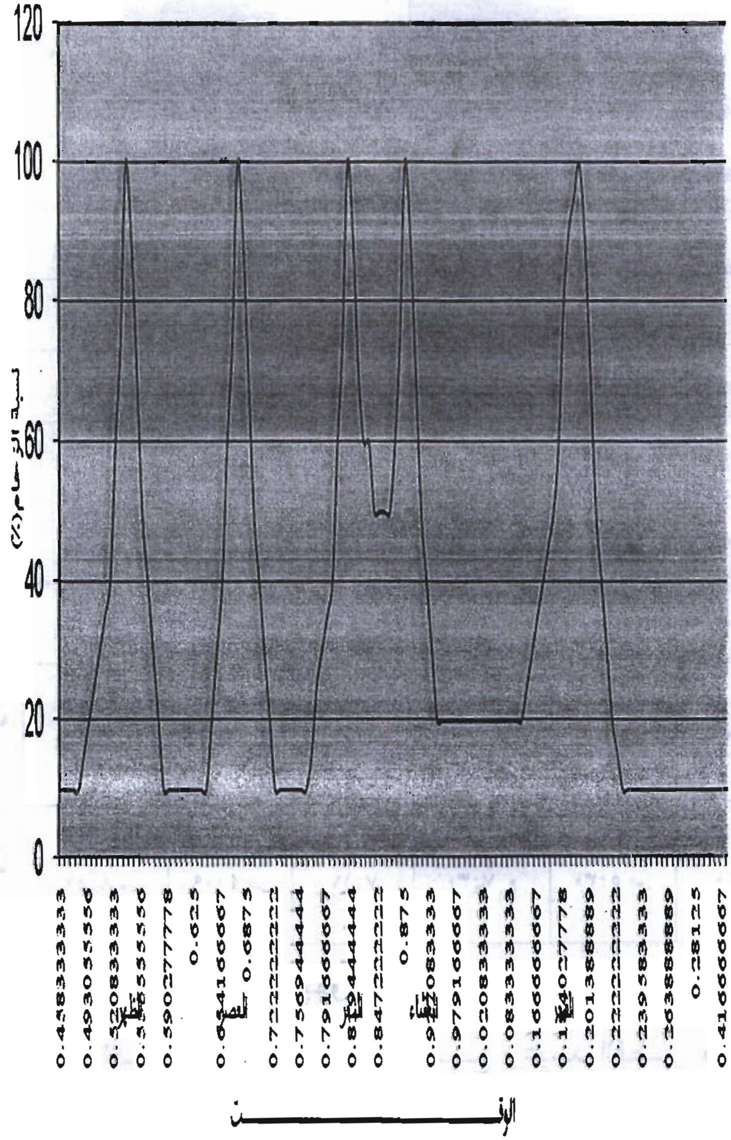
الظهر في أيام الصيف إلى أن يبرد الوقت وينكسر الوهج هـي رفـع الأذى والحرج عن المصلين الذين يقصدون مساجد الله، ويتأذون مـن الحـر فـي طريقهم من منازلهم إلى مساجد الله ذهابا وعند عودتهم إيابًا. أي أن الغرض الأسمى من تأخير صلاة الظهر هو رفع المشقة والحرج عـن هـذه الأمـة المباركة.

وبدون شك فإن الأعداد الكبيرة التي تغشى المسجد الحرام في موسـمي رمضان والحج – لاسيما إن صادفا فصـل الصـيف، وخاصـة الكهـول والمرضى والنساء – تواجه مشقة وحرجًا كبيرين غنيين عن التوضيح. وقد لوحظ أن الزحام ينحصر في فترة وجيزة تقارب ساعة واحدة. ومن بـاب رفع الأذى ورفع الحرج والمشقة فإن الاقتراح يكمن في إقامة صلاة الظهـر ثلاث مرات: **الأولى** في أول وقته، **والثانية** في وسطه، **والثالثة** في آخـره. وتبين الجداول أرقام (٣)،(٤)،(٥) أوقـات صـلوات الجماعـة المسـنونة المفروضة المتكررة حسب المقترح، ومنها وقت صلاة الظهر في أطول أيام السنة وهو اليوم الذي يوافق الحادي والعشرين من شهر يونية (حزيـران)، وفترة وقت صلاة الظهر في أقصر أيام السنة الذي يوافق الحادي والعشرين من شهر ديسمبر (كانون الأول)، والفرق بينهما ضئيل لا يذكر، ومتوسـط فتراته ثلاث ساعات وأربعون دقيقة. لذا لو رفع أذان الصلاة الأولـى حـال دخول وقت صلاة الظهر (الساعة ١٢:١٥) والذي يستغرق فـي المتوسـط ثلاث دقائق، ثم أعطى المصلون خمس عشرة دقيقة ليأخذوا أماكنهم ويـؤدوا صلاة النافلة، ثم أقيمت الصلاة عند الساعة (١٢:٣٥) واستغرقت الصـلاة عشر دقائق، بعدها أي عند الساعة (١٢:٤٣) يبدأ بعض المصلين فـي أداء صلاة النافلة، وبعضهم ينصرفون عائدين إلى منازلهم. ثم بعد انقضاء ساعة

كاملة، تقام صلاة المرة الثانية للظهـر[١]أي في السـاعة الواحـدة وثـلاث وأربعين دقيقة، وتعاد الكرة ليرفع أذان الظهر للمرة الثالثة في الساعة الثانية وثلاث وأربعين دقيقة. وبلغة علماء الإحصاء فإن إقامة صلاة الظهر ثلاث مرات قد حالت دون حصول الذروة، وأصبح توزيع أعداد المصـلين أكثـر اعتدالا، حيث وزعت أعدادهم على فترة أطول تقارب ثلاثة أضعاف السابقة لصلاة واحدة. وهذا بدوره يقلل بحول الله من الآثار السلبية المترتبـة عـن الزحام داخل الحرم الشريف وحوله. كما يلبي رغبات الحجاج والمعتمـرين في أداء هذه المكتوبة جماعة في الحرم الشريف خلف أحد أئمته المبـاركين. ولو افترضنا أن عدد الذين يغشون الحرم الشريف لأداء صلاة الظهر قبـل تطبيق هذا الاقتراح هو مائتان وخمسون ألف مصل، يلج معظمهـم الحـرم الشريف ويغادرونه في غضون ساعة، فإن العدد الذي يلج الحرم ويغـادره بعد تطبيق هذا الاقتراح سيقارب مائة ألف مصل، والفرق كبير جدًا وغنـي عن التعليق. كما أن الذين يؤدون صلاة الظهر الثانية يدركون – على حـد قول الجمهور– فضل تأخير صلاة الظهر إن كان الموسم صيـفًا، بينمـا يدرك فضيلة تأخير صلاة الظهر على حد قول الأحناف من يصلي في المرة الثالثة. وكما هو معلوم فإن فترة الصيف في مكة المكرمة طويلـة يحسـها معظم الحجاج والمعتمرين خاصة القادمين من المناطق الباردة.

---

(١) تعدد الآذان غير وارد قد يؤدي إلى لبس في الصيام والإمساك والفطر ودخول الوقت وخروجه، لذا فإن الدراسة تقترح أن يكون الأذان واحدا عند دخول الوقت ثم تعـدد الإقامة للصلوات.



شكل(١): الزحام داخل المسجد الحرام وحوله خلال أوقات الصلوات المكتوبه

الصلاة	في أطول نهار (٢١ يونيو)			في أقصر نهار (٢١ ديسمبر)		
	دخول الوقت	خروج الوقت	مدة وقت الصلاة	دخول الوقت	خروج الوقت	مدة وقت الصلاة
الفجر	٤:٠٩ ص	٥:٣٩ ص	١:٣٠	٥:٣٠ ص	٦:٥٤ ص	١:٢٤
الظهر	١٢:٢٣ م	٣:٤٢ م	٣:١٩	١٢:١٩ م	٣:٢٣ م	٣:٠٤
العصر	٣:٤٢ م	٧:٠٧ م	٣:٢٥	٣:٢٣ م	٥:٤٥ م	٢:٢٢
المغرب	٧:٠٧ م	٨:٢٢ م	١:١٥	٥:٤٥ م	٧:٠٠ م	١:١٥
العشاء	٨:٢٢ م	٤:٠٩ ص	٧:٤٧	٧:٠٠ م	٥:٣٠ ص	١٠:٣٠
الجمعة	٦:٠٩ ص	٣:٤٢ م	٩:٣٣	٧:٢٤ ص	٣:٢٣ م	٧:٥٩
عيد الفطر	٦:٠٩ ص	٣:٤٢ م	٩:٣٣	٧:٢٤ ص	٣:٢٣ م	٧:٥٩
الليل التراويح	٨:٥٢ م	٤:٠٩ ص	٧:١٧	٧:٣٠ م	٥:٣٠ ص	١٠:٠٠

جدول (٣)

أوقات الصلوات المكتوبة و الجمع وعيد الفطر و صلاة الليل في المسجد الحرام في أطول وأقصر يوم في السنة (٢١ يونيو و٢١ ديسمبر)

الصلاة	مدة وقت الصلاة	الوقت بين الشروع في الأذان ونهاية الإقامة	المدة المتبقية من وقت الصلاة	الوقت اللازم للصلاة	الراحة بين الصلاتين	عدد المرات الممكنة	عدد المرات المقترحة
الفجر	١:٣٠	٠٠:١٥	١:١٥	٠٠:١٠	٠٠:٢٠	٢	٢
الظهر	٣:١٩	٠٠:١٥	٣:٠٤	٠٠:١٠	٠٠:٤٥	٣	٣
العصر	٣:٢٥	٠٠:١٥	٣:١٠	٠٠:١٠	٠٠:٤٥	٣	٢
المغرب	١:١٥	٠٠:١٠	١:٠٥	٠٠:٠٥		١	١
العشاء	٧:٤٧	٠٠:١٥	٧:٣٢	٠٠:١٠	١:٣٠	٤	٣
الجمعة	٩:٣٣	٠٠:٤٥	٨:٤٨	٠٠:٤٥	١:٠٠	٥	٣
عيد الفطر	٩:٣٣	١:٠٠	٨:٣٣	٠٠:٤٥	١:٠٠	٤	٣
الليل التراويح	٧:١٧	٠٠:٠٠	٧:١٧	١:٣٠	١:٠٠	٢	٢

جدول رقم (٤)

عدد المرات التي يمكن إقامة المكتوبات و الجمع وعيد الفطر وصلاة الليل في المسجد الحرام خلال أطول يوم (٢١ يونيو)

الصلاة	مدة وقت الصلاة	الوقت بين الشروع في الأذان ونهاية الإقامة	المدة المتبقية من وقت الصلاة	الوقت اللازم للصلاة	الراحة بين الصلاتين	عدد المرات الممكنة	عدد المرات المقترحة
الفجر	١:٢٤	٠٠:١٥	١:٠٩	٠٠:١٠	٠٠:٢٠	٢	٢
الظهر	٣:٠٤	٠٠:١٥	٢:٤٩	٠٠:١٠	٠٠:٤٥	٣	٢
العصر	٢:٢٢	٠٠:١٥	٢:٠٧	٠٠:١٠	٠٠:٤٥	٢	٢
المغرب	١:١٥	٠٠:١٠	١:٠٥	٠٠:٠٥		١	١
العشاء	١٠:٣٠	٠٠:١٥	١٠:١٥	٠٠:١٠	١:٣٠	٦	٣
الجمعة	٧:٥٩	٠٠:٤٥	٧:١٤	٠٠:٤٥	١:٠٠	٤	٣
عيد الفطر	٧:٥٩	١:٠٠	٦:٥٩	٠٠:٤٥	١:٠٠	٣	٣
الليل التراويح	١٠:٠٠	٠٠:٠٠	١٠:٠٠	١:٣٠	١:٠٠	٤	٣

جدول رقم (٥)

عدد المرات التي يمكن إقامة المكتوبات والجمع وعيد الفطر وصلاة الليل في المسجد الحرام خلال أقصر يوم (٢١ ديسمبر)

ب – صلاة العصر:

لكي نتجنب أداء صلاة العصر في وقت الكراهة، فإن أداءها سيكون مرتين فقط، لا ثلاث مرات كما اقترحنا في صلاة الظهر. ويوضح الجدولان (٣،٥) أن متوسط وقت العصر ساعتان وخمس وأربعون دقيقة. ومن هنا فلو رفع أذان صلاة العصر عند دخول وقته أي في قرابة الساعة الثالثة والنصف، واستغرق ذلك خمس دقائق، ثم أعطى المصلون خمس عشرة دقيقة ليأخذوا أماكنهم ويؤدوا صلاة النافلة، ثم أقيمت عند الساعة الثالثة وخمسين دقيقة، واستغرقت الصلاة عشر دقائق، وبدأ المصلون في الانصراف إلى منازلهم في حدود الساعة الرابعة. ثم بعد انقضاء ساعة من الزمن، أي في حدود الساعة الخامسة عصرًا، تقام صلاة العصر الثانية لتنتهي في حدود الساعة الخامسة والنصف. إن إقامة صلاة العصر مرتين بدلاً من مرة واحدة قد نَقَصَتْ العدد بقرابة أربعين في المائة من العدد الأصلي.

ويجدر القول إن هذا المقترح – نظرًا لقصر الوقت بين انقضاء صلاة العصر في المرة الثانية ودخول وقت صلاة المغرب– قد يشجع جزءًا كبيرًا من هؤلاء المصلين الذين حضروا في المرة الثانية على المكوث في الحرم وأداء صلاة المغرب. إلا أنه في نفس الوقت يخفف بشكل كبير الزحام الذي يحدث عند دخول المصلين لأداء صلاة المغرب وعند خروجهم منه خاصة لدى الأبواب وفي الممرات.

ج - صلاة المغرب:

نظرًا لضيق وقت صلاة المغرب، فإنه يتعذر إقامة صلاة المغرب أكثر

من مرة، ولكن سوف نحاول الاستفادة من قصر وقت صلاة المغـرب فـي الحل المقترح لصلاة العشاء.

د - صلاة العشاء:

يدخل وقت صلاة العشاء بعد مرور قرابة خمس وستين إلـى خمـس وسبعين دقيقة من دخول وقت المغرب. فلو فرض أن أذان المغرب وانتظار الصلاة وأداءها يستغرق خمس عشرة دقيقة، فإن أذان العشاء يمكن أن يُرفع بعد خمس وستين دقيقة أو خمس وسبعين دقيقة[١] من انتهاء صلاة المغرب. ونظرًا لأن وقت صلاة العشاء، حسب ما هـو موضح في الجدول أرقـام (٣،٤،٥) يبلغ ثماني ساعات تقريبًا فإنه من الممكن جدًا إقامة صلاة العشـاء ثلاث مرات أو حتى أربع مرات بطريقة مماثلة لصلاتي الظهر والعصـر. عندما تقام صلاة العشاء ثلاث مرات ينتقص من عدد الذروة بما نسبته ستون في المائة. مـع الأخذ في الاعتبار أن الذين يؤدون صلاة العشاء الثانيـة أو الثالثة يدركون فضيلة تأخير صلاة العشاء كما بينا سابقا.

د - صلاة الفجر:

توضح الجداول (٣،٤،٥) أن وقت صلاة الفجر حوالي سبعين دقيقـة، وعليه فإنه يصعب إقامة صلاة الفجر أكثر من مرتين. ويجدر التنبيه في هذا المقام إلى أنه يجب التحري عند رفع أذان الفجر في المرة الأولى، وذلك عند دخول الوقت تماما حتى يمسك عن الأكل والشراب كل من ينوي الصوم. أما بالنسبة لإقامة الصلاة الثانية فيجب أخذ كامل الحيطة حتى لا يكـون هنـاك التباس لدى من يريد الصوم بين أذان الصلاة الأولى وإقامة الصلاة الثانيـة،

(١) تبعا للشفق الأحمر أو الأبيض.

لذلك... فقد اقترحت الدراسة – كما بينا سابقا– أن يكون الأذان واحدًا عند دخول الوقت ثم يقام للصلوات بعد ذلك.

لو فرض أن دخول وقت صلاة الفجر كان في الساعة الرابعة وخمس وأربعين دقيقة، عندها يرفع أذان صلاة الفجر للمرة الأولى، ويستغرق الأذان وأخذ المكان وأداء النافلة وصلاة الفجر نفسها ثلاثين دقيقة فإن الصلاة تنتهي في الخامسة وخمس عشرة دقيقة. ويمكن بعد نصف ساعة، أي في الخامسة وخمس وأربعين دقيقة، إقامة صلاة الفجر الثانية، دون الحاجة إلى أذان ثان، والانتهاء منها قبل الشروق بعشر دقائق. إن عدد المصلين ينقص بقرابة ما نسبته أربعون في المائة. ويجدر القول بأن الأحناف يسفرون في صلاة الفجر، ويرونه وقت الأفضلية لحديث رافع بن خديج رضي الله عنه[1] قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :(يقول أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر)[2].

هـ - صلاة الجمعة:

كانت صلاة الجمعة تؤدى في المسجد الحرام فقط، وكان المسجد قبل التوسعتين الكبريين، يسع جميع المصلين، وقد أدرك الباحث تلك الأيام. وقد كان من العرف أن لا يؤدي أهل مكة صلاة المكتوبات أيام الحج في الحرم الشريف، بل كانوا يؤدونها في المساجد المنتشرة في مكة المكرمة – عدا

(١) سنن الترمذي : حديث رقم (١٥٤)، كتاب الصلاة،باب ما جاء في الإسفار بالفجر، موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة مرجع سابق.

(٢) قد لا يتأتى تعدد الصلوات فيه نظراً لضيق الوقت، ولكن يمكن التأكد من ذلك عند إكمال هذه الدارسة وإجراء التطبيقات العملية ومناقشة هذا الموضوع من جانب المختصين بمزيد من التفصيل.

الجمع وعيد الفطر – لإفساح المجال للحجاج والمعتمرين. ونظرًا لأن الجمعة فرض عين، وأن انعقادها آنذاك لم يكن يتم إلا في المسجد الحرام، فإن الأهالي كانوا يضطرون إلى أداء صلوات الجمع في الحرم . وازداد الزحام سنة بعد أخرى، وأدركت الجهات المسؤولة عند ذلك ضرر هذا الزحام فأفتوا بإقامة صلاة الجمعة في العديد من مساجد مكة المكرمة. ولقد كان ذلك بحمد الله عملاً موفقًا جدًا، حيث يمتلئ العديد من مساجد مكة المكرمة – إضافة إلى المسجد الحرام – بالمصلين. وقد أدى ذلك قطعًا إلى تخفيف الزحام عن المنطقة المحيطة بالمسجد الحرام، وتوزع الزحام على أحياء مكة المكرمة جميعها، بعد أن كان متمركزًا حول منطقة الحرم. والآن فإن الجمع التي تقام في مدينة مكة المكرمة في عدة مساجد تختلف فيها أوقات الصلاة نوعًا ما، فمن لم يدرك الصلاة في حيه الذي يقطنه يمكنه أن يدرك الجمعة في حي آخر.

ونعتقد أن إقامة صلاة الجمعة – قياسا– في المسجد الحرام أكثر من مرة واحدة لا يختلف كثيرًا عن الفتوى التي سمحت بإقامتها في عدة مساجد، طالما أن الصلاة تؤدى في وقت الظهر نظرًا لأنها تحتاج إلى أذانين وخطبتين، وحيث إن لدينا قولين في وقت صلاة الجمعة، أحدهما يجعله وقت صلاة الظهر أي من بعد الزوال وحتى يصير ظل كل شيء مثله أو مثليه، والقول الثاني يرى أن دخول وقتها يبدأ بدخول وقت صلاة العيدين (كصلاة الضحى) أي بعد ارتفاع الشمس بقدر رمح وحتى الزوال، فإننا حين نأخذ بالقولين كليهما يكون من الممكن جدًا إقامة صلاة الجمعة ثلاث مرات على الأقل، بحيث تبدأ الصلاة الأولى في حدود الساعة العاشرة صباحًا وتنتهي في حدود العاشرة وخمس وأربعين دقيقة، والثانية بعد دخول وقت

صلاة الظهر مباشرة، والثالثة بعد مرور ساعة زمنية من انتهاء الصلاة الثانية. وعلى اعتبار أن دخول وقت صلاة الظهر يبدأ في الساعة الثانية عشرة والنصف، وتستغرق صلاة الجمعة قرابة خمس وأربعين دقيقة، أي تنتهي في الساعة الواحدة والربع، فإن الصلاة الثالثة يمكن أن تبدأ في الساعة الثانية والربع، وتنتهي في حدود الساعة الثالثة ظهرًا. ويجدر القول إن عدد المصلين في المسجد الحرام في يوم الجمعة الموافق للسادس من ذي الحجة في سنة ١٤٣٢ هـ قد فاق ١,٨٠٠,٠٠٠ مصل. ولو فرض أن صلاة الجمعة هذه قد أقيمت ثلاث مرات بدلاً من مرة واحدة لأصبح عدد الحجيج الذين يؤدون صلاة الجمعة في كل مرة قرابة ٦٠٠,٠٠٠ مصل بدلاً ١,٨٠٠,٠٠٠ مصل، والفرق شاسع جدًا.

و - صلاة عيد الفطر:

ينطبق على صلاة عيد الفطر ما ذكرناه في صلاة الجمعة، فقد أفتى العلماء – جزاهم الله خيرًا- بإقامة صلاة عيد الفطر المبارك في عدة مساجد من مكة المكرمة، بدلاً من إقامتها في المسجد الحرام فقط. وقد أدى ذلك فعلاً، وكما هو الحال في صلاة الجمع، إلى التخفيف بشكل ملحوظ جدًا من الزحام المتمركز حول منطقة الحرم الشريف، وذلك لتوزيع المصلين على جميع أحياء مدينة مكة المكرمة. ومن نفس المنطلق، وعلى القاعدة نفسها يمكن إقامة صلاة عيد الفطر المبارك مرتين أو ثلاث مرات في المسجد الحرام ذاته، كأن تبدأ الصلاة الأولى في الساعة السادسة والنصف صباحًا وتنتهي في السابعة والنصف صباحًا، ثم تبدأ الصلاة الثانية في الساعة الثامنة والنصف وتنتهي في التاسعة والنصف، ثم تبدأ الصلاة الثالثة في الساعة العاشرة النصف وتنتهي في الحادية عشرة والنصف.

ز - صلاة قيام الليل في شهر رمضان المبارك:

تندرج صلاة التراويح وصلاة التهجد كلها تحت صلاة قيام الليل، ولكن جرى العرف على تسمية الصلاة التي تقام بعد صلاة العشاء مباشرة بصلاة التراويح، والصلاة التي تقام آخر الليل في العشر الأواخر من رمضان بصلاة التهجد. وقد اتضح سابقا أن وقت صلاة الليل يبدأ من بعد صلاة العشاء وينتهي ببزوغ الفجر، وصلاة الليل بجميع أوقاته كلها خير وبركة والحمد لله. وتلك الصلاة لا تقام جماعة في المسجد الحرام إلا في شهر رمضان المبارك، حيث تقام فيه صلاة التراويح بعد صلاة العشاء مباشرة ومنذ قرابة خمسين سنة خلت. وقد ذكرنا سابقا بداية أدائها جماعة بالمسجد الحرام. ويمتلئ المسجد الحرام بالمصلين لاسيما ليلة السابع والعشرين، وليلة ختم المصحف الشريف ويحدث ازدحام شديد جدا يفوق الوصف في داخله، وعند مداخله ومخارجه، وفي المناطق المحيطة به وفي الطرق المؤدية إليه. وقد بيّنا سابقًا أن وقت صلاة العشاء يبدأ بعد دخول وقت المغرب بقرابة خمس وستين إلى خمس وسبعين دقيقة، لذا.. فإنه من الممكن أن يرفع أذان العشاء في شهر رمضان المبارك عند أول وقته، بدلاً من أن يرفع بعد ساعتين من دخول وقت المغرب. فلو فرض أن دخول وقت أذان المغرب هو الساعة السادسة والثلث فإن أذان العشاء سيرفع في السابعة والنصف تقريبًا، ويستغرق قرابة نصف الساعة، تبدأ عندها صلاة التراويح الأولى، أي في الثامنة، وتستغرق قرابة ساعة ونصف لتنتهي في التاسعة والنصف. ويمكن أن تؤدى صلاة التراويح مرة أخرى بعد ساعة ونصف الساعة من انقضاء الأولى، كأن يشرع فيها في الساعة العاشرة وخمس وأربعين دقيقة، وتستغرق أيضًا ساعة ونصف الساعة، أي أنها تنتهي في الثانية عشرة وخمس عشرة دقيقة.

ح - ليلة ختم القرآن:

من المعروف جدًا أن أعدادًا هائلة، لا في مدينة مكة المكرمة فحسب،

بل وفي جميع أجزاء المملكة العربية السعودية وجموع المعتمرين من مختلف الدول الإسلامية لديهم الرغبة الشديدة في حضور ختم القرآن الكريم في المسجد الحرام، نظرًا للتجليات والروحانيات التي يخص الله بها تلك البقعة الطاهرة في تلك الليالي المباركة، حيث يحرص كل مسلم على حضورها ليحظى بالقبول والغفران من الكريم المنان، ويترتب على ذلك امتلاء الحرم والساحات والطرق والممرات بشكل كبير جدًا. وسعيًا وراء تحقيق رغبة المصلين في حضور ختم القران الكريم في الحرم الشريف وخلف أئمته المباركين أصحاب الأصوات الشجية، فإنني أقترح أن يتم الختم ثلاث مرات أو أكثر، لا في ليلة واحدة ولكن في ثلاث ليال، كأن يبدأ الختم في ليلة الخامس والعشرين في الصلاة الأولى من التراويح في تلك الليلة، ثم يؤدي ختم آخر في الصلاة الثانية من التراويح في ليلة السادس والعشرين، ويؤدي الختم الأخير في ليلة الثامن والعشرين، وبذلك ينقسم الزحام إلى ثلاثة أقسام قد لا تكون فيها الأعداد متساوية، ولكن غالبا ما تكون متقاربة. ويمكن زيادة عدد المرات التي يتم فيها الختم، حسب الحاجة بغرض تخفيف الزحام، خاصة وأن كل صلاة تقام ثلاث مرات في الليلة، كما يلاحظ أن المقترح لا يوصي بختم القرآن الكريم في ليلة سبع وعشرين، لأنها ليلة بطبيعتها مزدحمة جدًا، ومن المنطق أن نتجنب ختم القرآن في هذه الليلة وما يماثلها حتى لا يزيدها زحامًا على زحامها القائم.

كما توصى الدراسة بمقترحات تنظيمية وإنشائية أخرى، كلها تصب في تحقيق هدف تخفيف الزحام والتقليل من آثاره السلبية قدر الإمكان. وسنناقش كلاً منها في المبحث الرابع.

ب - المسجد النبوي الشريف:

لا يتعدى الفرق بين أوقات الصلوات الخمسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة بضع دقائق، لذا فإن عدد المرات التي يمكن أن تكرر فيها الصلوات مطابق لما تم حسابه في مكة المكرمة، وأحيل القارئ الراغب في التفصيل إلى الجزء الخاص بتكرار الصلوات المكتوبة في المسجد الحرام من هذا

البحث. وقد أعيد حساب ذلك – بغرض التوضيح– ووضع في الجدول رقم (٦) الذي يبين أنه وبشكل مماثل لما اقترح في المسجد الحرام – يمكن تكرار صلاة الفجر مرتين، والظهر ثلاث مرات والعصر مرتين، والعشاء والجمع والعيدين والتراويح ثلاث مرات، مع إمكانية الاستعانة بالأشكال الموضحة في حال المسجد الحرام السابقة لمن يريد إيضاحا أكثر.

الصلاة	مدة وقت الصلاة	الوقت بين الشروع في الأذان ونهاية الإقامة	المدة المتبقية من وقت الصلاة	الوقت اللازم للصلاة	الراحة بين الصلاتين	عدد المرات الممكنة	عدد المرات المقترحة
الفجر	١:٣٥	٠٠:١٥	١:٢٠	٠٠:١٠	٠٠:٢٠	٢	٢
الظهر	٣:٢١	٠٠:١٥	٣:٠٦	٠٠:١٠	٠٠:٤٥	٣	٣
العصر	٣:٣٠	٠٠:١٥	٣:١٥	٠٠:١٠	٠٠:٤٥	٣	٢
المغرب	١:١٥	٠٠:١٠	١:٠٥	٠٠:٠٥		١	١
العشاء	٧:٣٠	٠٠:١٥	٧:١٥	٠٠:١٠	١:٣٠	٤	٣
الجمعة	٩:٤٠	٠٠:٤٥	٨:٥٥	٠٠:٤٥	١:٠٠	٤	٣
عيد الفطر	٩:٤٠	١:٠٠	٨:٤٠	٠٠:٤٥	١:٠٠	٤	٣
الليل التراويح	٧:٠٠	٠٠:٠٠	٧:٠٠	١:٣٠	١:٠٠	٢	٢

جدول رقم (٦)

عدد المرات التي يمكن إقامة المكتوبات والجمع وعيد الفطر وصلاة الليل في المسجد النبوي الشريف خلال أطول يوم (٢١ يونيو)

المطلب الثاني: حلول خاصة:

وهي التي ينبغي تنفيذها في كل حرم على حده

في المسجد الحرام:

لمكة المكرمة خصوصية فريدة بين مدن الأرض على الإطلاق فهي مدينة الحج والعمرة، وأي نشاط أو حركة فيها إنما يدور في فلك هاتين الشعيرتين، ومن ثم كانت مبانيها وشوارعها مرصودة لهما ولمن يفد إليهما لتأديتهما، وإذن فالحركة فيها عند الصلوات متوقفة حتى تؤدى وتبدأ الحركة من جديد، من هنا رأى الباحث أنه لا مانع من طرح بعض المقترحات التي تفيد من ذلك وتخفف من زحام الحرم في المواسم أثناء الصلاة.

مد الصفوف في الشوارع المؤدية إلى الحرم:

في أوقات شدة الزحام أرى صفوفا ممتدة في الشوارع المتصلة بساحات الحرم كشوارع أجياد والحفاير وإبراهيم والمعلا وغيرها فأقول لم لا نتوسع في هذا المجال ونهيئ هذه الشوارع وأمثالها بما يؤهلها لتكون مصليات مؤقتة تستوعب أعدادا كبيرة من المصلين، وهذا تفعيل لفتوى صحة صلاة المأموم خارج المسجد إذا تواصلت الصفوف أو أمكن متابعة الإمام، فيكون بذلك محصلا لثواب الجماعة – إن شاء الله – بحيث تنتظم الصفوف خارج حدود الحرم الشريف في الشوارع المحيطة، والحوانيت، وبقية الأماكن التي تتحقق رؤية الإمام منها، حتى ولو كان ثم حائل يحول بينه وبين الإمام.

وقد حقق ابن غازي في" تكميل التقييد" هذه المسألة في قوله ضابط هذه المسألة أنه إن رأى وسمع عمل الإمام جازت صلاته، وإن لم ير ولم يسمع بطلت، وإن سمع ولم ير، أو رأى ولم يسمع فقولان: الجواز أو الكراهة،

ومما استدل به صلاة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن في حجرهن بصلاة الإمام.

ونحن نرى الآن تواصل الصفوف ووصول صوت الإمام عبر المكبرات، كحقيقة واقعة لبعد قد يصل إلى مئات الأمتار عن الحرم، وبخاصة في صلاة الجمع والأعياد، والعشر الأواخر من رمضان، والنصف الأول من ذي الحجة. وما تقترحه الدراسة حاليا هو توسيع نطاق هذه الفكرة بمنهجية بينة وإعداد ساحات كثيرة تنتشر في بعض أنحاء مكة المكرمة، خاصة في المناطق التي يوجد فيها الحجاج بكثرة، حيث تهيأ تلك الساحات، ويمكن أن تكون مظللة لتصير مصليات مؤقتة أيام المواسم تزود بمكبرات الصوت، وربما بشاشات تليفزيونية وبعض المصاحف، مما يشعر المصلي بروحانية المساجد، وترتبط بالمسجد الحرام عن طريق تخطيط هندسي بحيث تصبح الصفوف متصلة ما أمكن، وبحيث يرى كل صف الصف الذي يسبقه إلى أن تصل الرؤية إلى الإمام. فمثلا هناك عدة شوارع رئيسة موصلة للمسجد الحرام من جهة القشاشية (الساحات الجديدة) فشارع الغزة والمعلا حتى تصل إلى إمارة منطقة مكة المكرمة بالمعابدة، وكذلك شارع إبراهيم الخليل عليه السلام حتى يصل إلى كدي، وشارع الحفاير حتى يصل إلى شارع منصور، وشارع أجياد حتى يصل إلى شارع كدي من الناحية الشرقية وهكذا(١). كل هذه الشوارع يمكن أن يعد فيها أو على جوانبها المخططون

---

(١) أخذ – بحمد الله – بهذه التوصية مؤخرا ،وعلقت عدة شاشات تليفزيونية في رمضان من هذا العام ١٤٣٣هـ، في منطقة كدي، وطلب من المعتمرين عدم التوجه إلى المسجد الحرام لأن أبوابه مغلقة، فصلى الناس خلف هذه الشاشات، كما أن كثيرا من الرسائل الإلكترونية دعت الناس إلى عدم الذهاب للمسجد الحرام وقد لوحظ أن أبواب المسجد الحرام وكذا الحرم النبوي الشريف كانت تغلق قبل وقت الصلاة بساعة أو أكثر، خاصة أيام الجمع، وليالي الوتر والتختيم.

ساحات متصلة ببعضها البعض، لتصبح مصليات مؤقتة تخفف من الزحام في المسجد الحرام.

وتجدر الإشارة إلى أن الصفوف لا يقطعها مرور سيارة أو ناقلة في طرق موازية للمصلين، ولكن ينبغي عدم قطع الطريق العمودي على المصلي – الطرق العرضية- وهذه كلها طرق متجهة إلى الحرم مباشرة، ويمكن للشوارعِ العرضية أن تغلق تماما أمام الحافلات وقت الصلاة فقط حتى نتفادى قطع الصفوف.

وتوصي الدراسة بأن يؤخذ ذلك في الاعتبار عند تخطيط الشوارع الرئيسة في منطقة الحرم مستقبلا، وأن يتم إعداد ساحات للمصلين متصل بعضها ببعض كجزء من التخطيط.

إعداد مصليات بالمباني المحيطة بالحرم:

ينبغي عند التخطيط والإعداد لبناء العمارات العملاقة في منطقة الحرم أن يُعد الطابقان الأول والثاني كمصليات يأتم المصلون فيها بإمام الحرم، تهيأ لذلك الغرض وتجهز للصلاة في مواسم وأوقات الزحام، وتزود بما يزود به الحرم من ميكروفونات ومصاحف، وغير ذلك من سلالم كهربية ونحوها لمساعدة من يحتاجون لمثل هذه المساعدات. ولا شك أن التحرك داخل هذه المباني المكيفة أفضل من التحرك في الساحات الواسعة المكشوفة المحيطة بالحرم خاصة في صلاتي الظهر والعصر والجمع، بالذات في فصل الصيف حيث تقترب درجات الحرارة من خمسين درجة مئوية.

وترى الدراسة أنه وصولاً إلى ذلك الهدف فإنه ينبغي التخطيط له من الآن، بحيث يلزم أصحاب المباني المحيطة بالحرم بذلك التخطيط فيما يستجد

من منشآت، ولا مانع على الإطلاق من أن يعوض هؤلاء الملاك بالترخيص لهم بزيادة طابقين إضافيين إلى ما هو مسموح به من عدد الأدوار في التراخيص المعمول بها حاليا إذا أجاز علماء البيئة ذلك.

في المسجد النبوي الشريف:

استمرار فتح أبواب المسجد في الموسم:

لقد أسعد الباحث تنفيذ ما أشار إليه من فتح أبواب المسجد النبوي الشريف على مدار الساعة، ولا شك أن زائري المسجد حين يعلمون أن أبواب المسجد مفتوحة على مدار الساعة فإن الكثيرين منهم سيحرصون على توخي الأوقات التي لا تشهد زحاما شديدا ولو كانت في وقت متأخر من الليل.

تفويج زوار المدينة في المواسم:

من المعلوم أن الزيارة ليست محددة بيوم أو أيام، مما يعطينا الفرصة للتنظيم، وذلك بتوزيعهم توزيعا مدروسا على أفواج خلال هذه المواسم لينال الجميع شرف الزيارة دونما كبير عناء ما أمكن، فمساحة مكان الزيارة – كما هو معلوم – صغيرة جدًا حيث إنها تقدر بحوالي ٣٧٠م٢، ولا يصعب على وزارة الحج وشؤون الحرمين الشريفين – وفق الله القائمين على شؤونهما – تنظيم ذلك بحول الله تعالى. ويجب ألا نغفل على الإطلاق أن من بين الزائرين كبار السن والمرضى، وقد أتى الجميع في رحلة هي رحلة عمرهم، من أجلها تكلفوا الشيء الكثير من الجهد والتعب والمال، الأمر.. الذي يجعل الحاجة ماسة إلى دراسة أبعاد المشكلة، وتنفيذ الحلول المرتآة بعد دراستها من قبل المختصين في وزارة الحج والأوقاف وشؤون الحرمين الشريفين، وفق الله الجميع إلى الخير والصواب.

- **المبحث الثالث: حلول إنشائية للمشكلة**

وتحته مطلبان:

تمهيد:

لا يعني تحفظ الباحث في الاعتماد على الحل الإنشائي أنه يرفضه تماما أو يذهب إلى عدم جدواه، لأن رؤية الباحث مفادها أنه إذا ما استطعنا في مجال ما أن نقتصد في الإنفاق مع تحقيق الهدف فإن هذا يكون أولى، والحق أن هذه ليست رؤية الباحث فقط وإنما هو مبدأ ونهج ينتهجه كل بحث وتطبيق علميين.

فلا بأس على الإطلاق من اللجوء إلى إنشاء جديد أو تعديل في وضع قديم طالما أن المصلحة تقتضي ذلك، وسيجد القارئ أن ما يقترحه الباحث من إنشاءات هي أمور كلفتها يسيرة ونفعها عظيم، مع يُسرها وعدم وجود عوائق في تنفيذها.

وسأخص كل حرم بحديث على النحو التالي:

المطلب الأول: المسجد الحرام:

أقدم هنا بعضا من المقترحات التي تعد إنشائية في مقابل المقترحات التنظيمية السابقة، وإن كانت هذه لا تعد في الحقيقة إنشاء بما تحمله هذه الكلمة من تكاليف واستحداث جديد في المباني، ولكنها إلى التعديل أقرب.

من الجلي أن الزحام يكون شديدا في الحرم وساحاته عموما في أيام المواسم، لكنه يبلغ أشده في مناطق معينة منه، من أهمها المداخل (أبواب الحرم الشريف)، والمطاف الشريف، على أن أشد مايكون الزحام في المطاف بين المكبرية والجزء المقابل للجهة الشرقية من الكعبة المشرفة، ويدخل فيها

منطقة باب الصفا، وأمام وحول بئر زمزم[١]، وأمام وحــول مقــام ســيدنا إبراهيم عليه السلام، كما كان أيضا قبل وفوق الخط المحدد لجهــة الحجــر الأسود[٢]، حيث كان الطائفون يتحرونه باحثين بالأعين عنه بين الأقدام قبل أن يصلوه بعدة خطوات ليطؤوه بأقدامهم متجهين بصدورهم لاستلام الحجر بدءًا لشوط جديد، أو للتأكد من تمام الشوط السابع لكن هذا الخط قــد أزيــل الآن بحمد الله، شكر الله جهد المسؤولين وجزاهم خير الجزاء. وبــين يَــدَيْ البحث الحثيث عن تلمس كل مــا من شأنه أن يسهم في راحــة الحجــيج، وتفادي – قدر الإمكان– كل ما يعنتهم ويشق عليهم، فإننا نــود أن نقتــرح بعض الحلول الإنشائية العامة، مؤكدين أن هذه الحلول ما هي إلا أفكار عامة آمل أن تحظى من قبل المختصين بالدراســـة والتمحيص، حتــى نصــل بحول الله تعالى إلى ما نصبوا إليه، من تخفيف هذا الهاجس الذي يؤرقنــا، وهو حدة الزحام والأذى الذي يلحق الناس من جرائه.

المقترح الأول:

يدور حول بئر زمزم: وذلك بعد تغطيتها على الوجه الذي تم مــؤخرا، وكنت قد طالبت بذلك في إحدى المقالات التي نشــرتها [٣]، وقــد وفــق الله

---

(١) عمر سراج أبو رزيزة، زيادة الطاقة الاستيعابية للمطاف الشريف، مخطوط.

(٢) عمر سراج أبو رزيزة، الزحام في الحرمين .. حلول مقترحة، مجلة الحــج، الســنة السابعة والخمسون، الجزء السابع والثامن، محرم وصفر ١٤٢٣هــ – أبريل ومايو ٢٠٠٢م ، ص ١٩.

(٣) عمر سراج أبو رزيزة، الزحام في المسجد الحرام "رؤية جديدة لتخفيف الزحام فــي المسجد الحرام "، ندوة مشكلة الزحام في الحج وحلولها الشرعية، المجمــع الفقهــي الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي، ٢٥–٢٧ ذي القعدة ١٤٢٣هــ.

القائمين على أمر الحرم إلى المبادرة بالحصول على الموافقة بـذلك، ونفـذ العمل، لكن يرى الباحث أن ينفذ الاقتراح جميعه، حيث إن ما نشرته تضمن اقتراحا أوسع مع دقته وعظيم أثره وحفاظه في نفس الوقت على الطابع القديم الذي يعد سمة ومعلما من معالم الحرم، وهو وجود البئر بدرجـه وحنفياتـه القريبة من النبع المبارك حتى إن الجمهور الأعظم من زائري الحرم كـانوا يجدون في نزول الدرج والشرب من حنفيات القبو لذة ومتعة تقرب من حـد النظر إليه على أنه إحدى الشعائر.

قد يبدو هذا الكلام متناقضا فيقال كيف تطالب بإغلاق قبو زمزم وتدعو في نفس الوقت إلى الحفاظ عليه ليتمتع بالنزول إليه من يريـد ؟ وأقـول لا تناقض على الإطلاق، فليكن تغطية الدرج وإغلاق الفتحـة أمـر ضـرورة استوجبه زحام المواسم، لكن بعد انتهاء مواسم الزحام لا ضرورة لإغلاقـه فالضرورة تقدر بقدرها، فليُغطّ مدخل البئر بغطاء متحـرك بحيـث يفـتح ويغطى وقتما نشاء.

وثم أمر آخر يضاف لما سبق حيث يمكننا مد القبو تحت سطح الصحن إلى الساحة الخارجية للحرم ناحية القشاشية ليكون المدخل والمخرج بعيـدين عن الحرم وزحامه مع إمكانية إعطاء الفرصة للحجـاج والمعتمـرين كـي يستمتعوا بهذه الميزة مع إحكام تهويته صناعيا، ولا يصعب تنفيذ هذا الحـل أو ذاك، فنكون وقتئذ قد أزلنا عقبة أمام الطـائفين وزدنـا سـعة المطـاف الاستيعابية، مع حفاظنا على هذا المعلم الذي أثار تغطيته الدائمة الحالية ألما في نفوس كثير من الناس(١).

---

(١) القبو يحتاج إلى دراسة حتى لا يتعارض مع تدفق مياه زمزم مطلقا.

المقترح الثاني:

بالإضافة لتغطية مدرج زمزم، نرى إزالة السور الذي يفصل بين الصحن والحرم القديم من الجهتين الجنوبية والشمالية، وأن تزال المكبريتان – الشمالية والجنوبية– لتبنيا في مكان آخر، كأن تكونا في الدور الثاني أو الثالث فوق السطح مثلا، أو أي مكان يصلح أن تكونا فيه دون أن تتسببا في زيادة الزحام، ثم تقتطع هذه المنطقة من الرواق القديم لتضاف إلى صحن المطاف، ثم يجري تعديل بنسق معماري جميل، يراعى فيه المحافظة على الطراز الإسلامي البديع، لكي لا يؤثر هذا التغيير على جمال وجلال المكان وروعته. ووفقا لهذا المقترح والمقترح الذي سبقه سوف تبلغ مساحة المطاف الشريف ١٨٨٣٥م٢ أي بنسبة زيادة قدرها ٤٢% من المساحة الكلية. إن هذا الحل الكامن في المقترحين السابقين سيلعب دورًا فعالاً في زيادة سعة الصحن واستيعاب عدد إضافي من الطائفين يقارب ٤٢% من العدد الحالي.

المقترح الثالث:

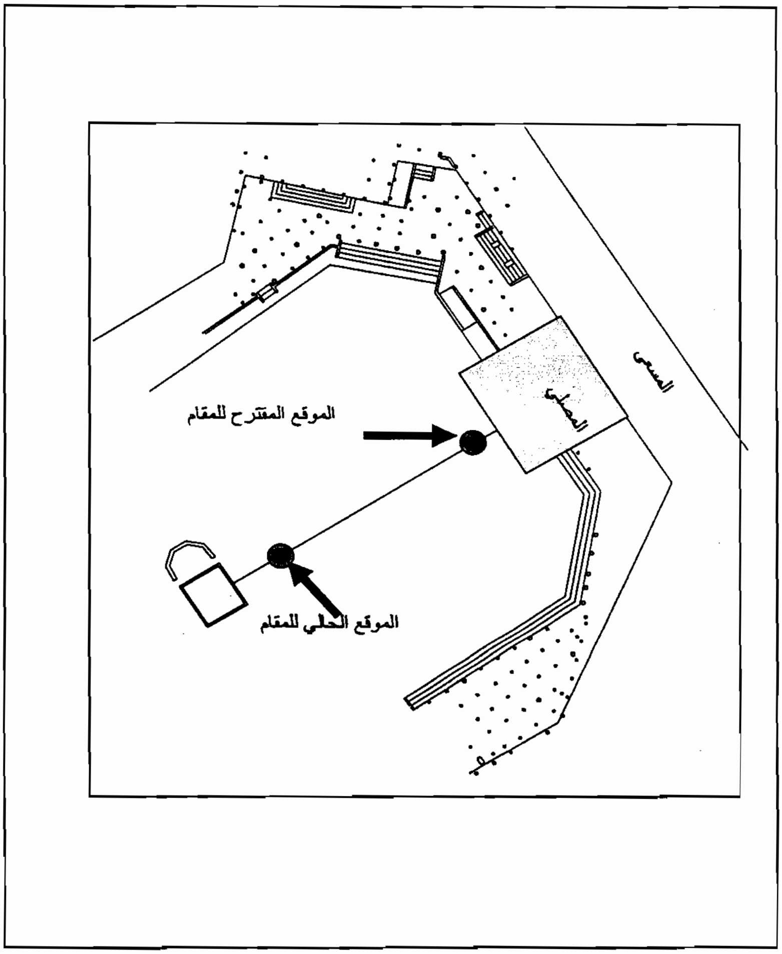
وهو خاص بالمقام الشريف، وللحديث عنه أهمية خاصة حيث إن وضعه الحالي وما ينشأ من اصطفاف المصلين خلفه في صفوف تصل إلى مائة متر تقريبا وعمق يصل إلى عشرين مترا – كما رصد الباحث في يوم النحر من عام ١٤٣٢هـ –، ينتج عنه آثار سلبية كبيرة تؤثر على طاقة المطاف الاستيعابية، وعلى ما يرتجى من توفير السلامة أو الراحة للطائفين، ولأهمية الأمر أفرد الباحث دراسة مستقلة عن المقام ومكانه، وآراء العلماء في نقله إلى غير ذلك، وهي دراسة نشرت في مجلة قطاع أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بمصر في عددها السابع ١٤٣٣هـ، وتضمنت هذه الدراسة تصورات عديدة لما يمكن أن يتم حيال المقام الشريف نوجزها فيما يلي:

التصور الأول:

أن ينقل المقام الشريف من موقعه الحالي إلى الموقع المحدد في الشكل رقم (٢) بحيث يكون مسامتا للموقع الحالي وداخل صحن المطاف، ويهيأ خلفه مصلى كبير يمتد داخل أروقة مبنى الحرم القديم برخام يختلف عن الرخام الأرضي حوله ليميزه، ويكون عرضه مساويا لعرض المصلى، وطوله إلى نهاية مبنى الحرم القديم. ويحدد مكان المقام الحالي على خرائط دقيقة في الحاسوب تبين موضعه وأبعاده عن ركني الكعبة من الحجر الأسود وحجر إسماعيل عليه السلام وعن بئر زمزم وكل ما يلزم. كما يجب أن يعلم مكانه الآن بعلامة مميزة كما اتبع في علامة بئر زمزم، حتى إذا وجد أحد حلا للزحام يحمي أرواح الطائفين من الحجاج والمعتمرين ويصون أعراضهم يكون من الممكن نقل المقام – بسهولة – إلى موضعه الحالي دون أدنى تغيير.

التصور الثاني:

هو مشابه تماما للمقترح الأول لكنه يرى أن يوضع المقام ويثبت فوق حامل متحرك على عجل وتبنى له قاعدة في المكان الجديد المقترح تثبت بها قاعدة الصندوق الزجاجي، بحيث ينقل الصندوق الزجاجي البلوري وبداخله الحجر إلى المكان الجديد في أواخر شهر شعبان قبل رمضان بليلتين أو ثلاث، ويثبت هناك ويبقى حتى الرابع من عيد الفطر المبارك. ثم يعاد إلى مكانه بعد ذلك ويثبت على قاعدة مشابهة للقاعدة التي بنيت في المكان المقترح تغطى ببلاط حتى لا تتسبب في إيذاء الطائفين. ثم يعاد نقله إلى المكان الجديد المقترح في العشرين من شهر ذي القعدة ويبقى هناك حتى غرة المحرم من السنة التالية ثم يعاد إلى موضعه، أي أنه سيبقى في موضعه الحالي لمدة تقارب تسعة شهور ونصف، ويبقى في المكان المقترح (أيام الزحام) فقط قرابة شهرين ونصف.



شكل رقم (٢)

رسم توضيحي للموقع المقترح للمقام الشريف

هذا المقترح يدل على أن النقل مؤقت، وفي المواسم، ولضرورة اقتضتها حماية الأنفس والأعراض،وتوفير الجو الروحي لهذه الشعيرة ليخلو قلب الطائف من كل شيء إلا ذكر الله والمناجاة، وحيث إن العلة معدومة في غير المواسم فإنه يعاد إلى موضعه الأصلي بعد انقضائها حيث اعتبرنا ذلك ضرورة والضرورة تقدر بقدرها.

التصور الثالث:

إن كان الرأي عدم قبول التصورين السابقين فإني أقترح أن يوضع المقام الشريف (الحجر الذي يبين موضع قدمي إبراهيم عليه السلام الموجود في الصندوق البلوري الزجاجي) داخل الكعبة المشرفة في الفترة التي ذكرناها في المقترح الثاني أيام المواسم، ويحفظ داخل وعاء مكين، ثم يعاد إلى وضعه العادي في صندوقه الزجاجي البلوري في غير أيام المواسم. وهذا المقترح ليس جديدا وليس بدعا (كما بينا في الدراسة التفصيلية)، فقد كان يعمل به في العصرين العباسي والعثماني، وقد أقره العلماء آنذاك ولم يلق - حسب علمي - معارضة. وقد بقي العمل بذلك لفترات طويلة جيلا بعد جيل. وهذا يدل على أن الأمة الإسلامية علماء وولاة قد تلقته بالقبول. (١)

يفضل الباحث التصور الأول لأسباب عدة أهمها أنه وإن كان التصوران الآخران (الثاني والثالث) مؤقتين، أي أن المقام سيبقى في مكانه الحالي الآن قرابة تسعة شهور ونصف إلا أن أعداد الحجيج والمعتمرين تتزايد سنة بعد

(١)انظر البحث المنشور بعنوان "مقام إبراهيم..تأييد فتوى نقله بالنمذجة الرياضية وتحليل لآراء بعض المؤيدين والمعارضين" أ.د.عمر سراج أبورزيزة، مجلة قطاع أصول الدين بجامعة الأزهر العدد السابع ١٤٣٣هـ القاهرة -مصر.

أخرى وليس من المستبعد أن نحتاج إلى نقله إلى المكان الجديد المقترح (نهاية صحن المطاف، أو الكعبة المشرفة) أكثر من تلك المدة وفي فترات مختلفة كفترة إجازات الربيع، وبين الفصلين الدراسيين، ومواسم العمرة في محرم وربيع الأول، ومن هنا يظهر أن نقله وتهيئة مكانه قد يكون أجدى في المدى الطويل.

كما أن التصور الثاني مقدم على التصور الثالث، لأنه وإن نقل المقام إلى مكان آخر لكنه يظل ظاهرا للعيان شاخصا يقصده الطائف بعد الانتهاء من طوافه يصلي خلفه بيسر (أو على أقل تقدير بمشقة أقل مما هو قائم الآن). ويرشح هذا التصور أنه ينقل مؤقتا وعند وجود العلة (علة الزحام) ويرجع إلى مكانه الأصلي بعد زوال أو انعدام العلة، وقد يلقى هذا التصور قبولا أكثر رغم تفضيلي للتصور الأول.

أما التصور الثالث وإنه وإن يك قد عمل به من ذي قبل إلا أن سلبيات عدم وجود المقام في المسجد الحرام عامة يجعل الطائفين يبحثون عنه بأنظارهم ليؤدوا ركعتي الطواف خلفه فيحارون حينما لا يجدونه قائما ظاهرا، بل قد يستفسرون عنه وعن موضعه الحالي لأداء الصلاة خلفه، وقد يبدون شيئا من الدهشة والإنكار – خاصة العامة منهم – إذا وضع الحجر الشريف داخل الكعبة المشرفة، وقد يتساءلون لماذا؟ أما التصوران الأول والثاني فإنهما يجعلان المقام شاخصا أمام أعينهم يقصدونه متى شاءوا ويصلون خلفه.

كذلك من مساوئ الحل الثالث أن الطائفين لا يعرفون أين يؤدون ركعتي الطواف لأن الحجر الشريف غير موجود، وإذا دلُّوا على مكانه الحالي فسيؤدون الصلاة في موقعه القديم، وعندها تبقى المشكلة قائمة ولا نكون بذلك قد قضينا على المشكلة، بل خلقنا مشكلة أخرى مع أن بالإمكان تفاديها.

المقترح الرابع:

إنشاء مداخل ومخارج منفصلة لكل دور من أدوار المسجد على حـدة، حيث إن الأبواب الحالية توصل فقط للدور الأرضي، عدا بعـض السـلالم القليلة وهي ليست كافية، مما يحتم في كثير من الأحيان على قاصد الدورين الأول والثاني والسطح أن يدخل من نفس الأبواب.

لذلك يوصي البحث بدراسة مستفيضة لاختيار وتصميم عـدة أبـواب وجسور فوق الساحات ترتبط مباشرة بالدورين الأول والثاني والسطح بحيث يقصدها الراغب دون المرور بالدور الأرضي، على أن تمتـد علـى هيئـة جسور فوق الساحات المحيطة، مع إعداد سلم كهربي وآخر درج في بدايـة كل جسر تيسيرا لعملية الدخول والخروج، لتفادي منطقة الساحات من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ذلك ربما يفيد في توزيع قاطني أحياء مكة المكرمـة المختلفة على مناطق الحرم، حيث يجد القادم أمامه مدخلا يوصله مباشرة في يسر إلى مكان داخل الحرم الشريف، دون الدخول في أماكن الزحام، وتكون إلى جانب ذلك مخارج إضافية تفيد في حالات الطوارئ لا سمح الله وقد نفذ جسر واحد جهة أجياد موصل إلى الدور الثاني.

مقترحات طموحة للمستقبل:

إن جميع المقترحات سابقة الذكر سهلة التنفيذ قليلة التكاليف نسـبيا ولا أرى عوائق كبيرة في تنفيذها. وإذا كان للباحث أن يخطو خطوة أبعد ممـا ذهب إليه، فسيحاول أن يستفيد من الفرق بين منسوب سطح صحن المطاف وبين سطح أرضية مباني المسجد القديم من الجهة الجنوبية الشرقية، وذلـك بعمل ميل خفيف في صحن المطاف ابتداء من حافة قاعدة الكعبة المشرفة –

في واجهتها الجنوبية الشرقية بين الركن اليماني وركن الحجر الأسود – وانتهاء بالبناء السعودي الأول، وإعداد هذه المنطقة ليكون لدينا طابقان للطواف في تلك المناطق الضيقة، ولفتح مسارات عدة لربط الصحن بالصفا، وعمل مزلقان متدرج للصعود إلى الطابق الجديد ابتداء من باب إبراهيم عليه السلام، ومزلقان آخر للخروج من هذا الطابق قريبا من باب علي رضي الله عنه. هذا المقترح يزيد من مساحة المطاف كثيرا، ولا يمكن تحديد تلك الزيادة إلا بعد دراسات تفصيلية للمناسيب، كما أنه يسهل الحركة كثيرًا فيما بين الصحن والصفا، ويخفف من زحام التيارين المتضادين" البادئ في الطواف والمنتهي منه". وهذا المقترح يحتاج إلى دراسات تفصيلية لتتضح الصورة أكثر.

إغلاق باب الصفا ناحية الصحن:

يوصي الباحث بغلق باب الصفا واستحداث بابين جديدين حول باب الفتح، بحيث يوجه الناس الذين أتموا طوافهم إلى هذه الأبواب عن طريق لافتات تبين لهم أن كل باب منها يوصل إلى دور من أدوار المسعى، ويعد لكل باب مسار يؤدي إلى دور المسعى الذي خصص الباب له، وتزود هذه الأبواب بمصاعد وسلالم كهربائية، على أن يكون الباب الموصل للدور الأرضي من المسعى أوسع من الآخرَيْن لأن الكثيرين سيفضلون السعي في الدور الأرضي. إن هذا المقترح سيمنع الاصطدام بين الطائفين وبين من أنهوا الطواف المتجهين إلى المسعى. كما يوصي البحث بدراسة هذه المقترح من قبل فريق علمي متخصص لمناقشته والوصول إلى الرؤية المثلى فيه.

المطلب الثاني: المسجد النبوي الشريف:

إن الحلول الإنشائية التي نفذت في المسجد النبوي وإن كانت تزيد في الطاقة الاستيعابية لأعداد المصلين إلا أنها لم تراع البعد الاستيعابي لمنطقة الزيارة وكيف أنها الآن منطقة واحدة محدودة وأن مساحتها الحالية إنما بنيت أصلا لتخدم نسبة محددة هي نسبة الزائرين من بين ٢٠,٠٠٠ مصل، أما الآن فيجب أن تكون هناك عدة مناطق للزيارة وأن تتناسب مساحتها مع سعة المسجد النبوي الشريف الحالية والأعداد الكثيرة للمصلين فيه، وهذا ما سنبينه في المقترحات التالية:

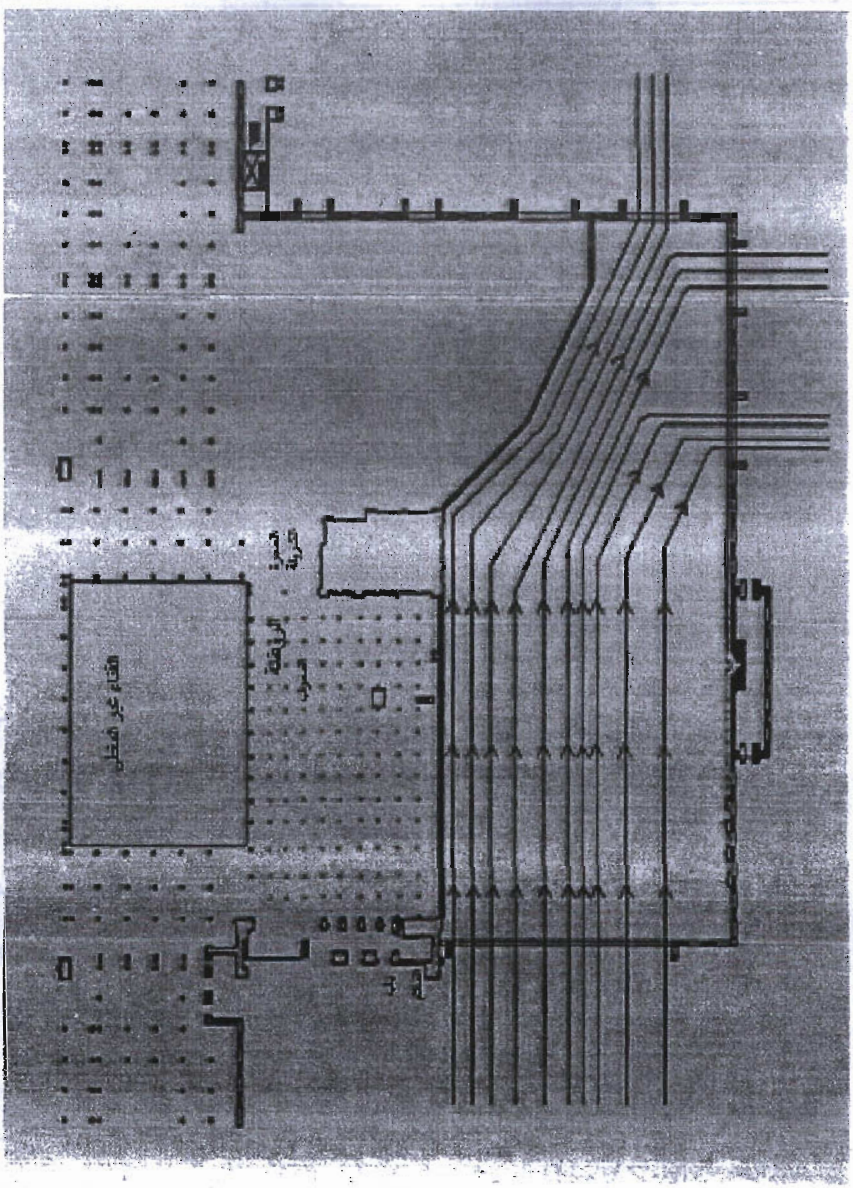
المقترح الأول:

يتمثل هدف هذا المقترح في زيادة مساحة المكان الذي يقف فيه الزائرون للسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه الصديق والفاروق رضي الله عنهما. وينحصر هذا المكان بين الحجرة النبوية الشريفة والحائط الكائن أمامها (ناحية القبلة). وتقدر مساحة هذا المكان حاليًا بحوالي ٧٤٠م٢ فقط. لذلك نرى – وكاقتراح مبدئي – أن ينقل هذا الحائط لمسافة ما، كأن تكون ٥٠ مترًا في اتجاه القبلة. والباحث إذ يتقدم بهذا الاقتراح فإنه يضع في اعتباره عظم امتداد الساحة خارج المسجد في هذا الاتجاه، على أن يترك تقدير حجم المساحة المقترح إضافتها للمسجد إلى العلماء المتخصصين في المجال الإنشائي بالتعاون مع المعنيين بالنواحي الصحية والاقتصادية والبيئية. وأؤكد هنا على ضرورة أن يكون التعديل وفق نسق معماري جميل – كما أكدنا في المسجد الحرام – يراعى فيه المحافظة على الطراز الإسلامي البديع القائم الآن، بحيث لا يؤثر هذا التغيير على جلال وجمال المكان وروعته.

إن هذا المقترح سوف يعمل على زيادة مساحة المكان المخصص للزيارة من ناحية القبلة من ٧٤٠م٢ إلى ٦٤١٢م٢، وذلك لو تمت إزاحة الجدار خمسين مترا أي بزيادة قدرها ٥٦٧٢ م٢(أي حوالي تسعة أضعاف المساحة الحالية).

وتتميما للغرض المنشود من هذه التوسعة، وانطلاقا مما هو مسلم به من أن السير في اتجاه واحد يؤدي إلى تسهيل وتيسير حركة السائرين كما يحول أيضا بين الزائرين وبين الطواف حول الحجرة الشريفة، فإن الباحث يرى أن يكون اتجاه القادم من باب السلام قاصدًا الحجرة النبوية الشريفة للسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبيه مباشرة إلى الحجرة دون السماح له – بعد الزيارة – بالعودة لدخول الروضة أو ما يحاذيها من جنبات المسجد، وكذلك دون السماح للدخول إلى هذا المسار من الروضة الشريفة أو من قبلها بل تحديدا من مداخل تحددها دراسات مستفيضة تأخذ في الاعتبار مجمل الأبعاد القائمة في المسجد، وذلك حتى لا يواجه المنصرف القادمين من نفس الجهة التي أتى هو منها.إن انسيابية الحركة داخل المسجد مطلوبة حتى نتفادى ما يحدث من مشاكل للضعفاء سواء أكانوا من المرضى أو كبار السن من جراء اصطدام الناس بعضهم ببعض حين تتعاكس الاتجاهات.

من هنا فإنني أرى أن يكون السير في هذا المقطع العرضي من المسجد من الغرب إلى الشرق فقط، مع الانحراف بخط السير بعد الزيارة ناحية الجنوب لتكون نهاية المسار في اتجاه الجنوب الشرقي، وذلك حتى لا يقاطع مسار القادمين من شمال المسجد. وتحقيقا لذلك الهدف أرى أنه ينبغي أن تغلق المنافذ الموجودة على طول الحاجز من غربي المسجد إلى شرقية، بحيث لا يكون أمام الزائر بعد إتمام غرضه إلا الخروج مباشرة إلى الساحة الخارجية في الشكل رقم (٣) ،ليحال بينه وبين الاصطدام بالقادمين للزيارة، كما يحال أيضا بينه وبين الدوران حول الحجرة المشرفة.



شكل رقم (٣)

نقل الحائط الجنوبي (حائط القبلة) لتوسعة مكان الزيارة الحالي

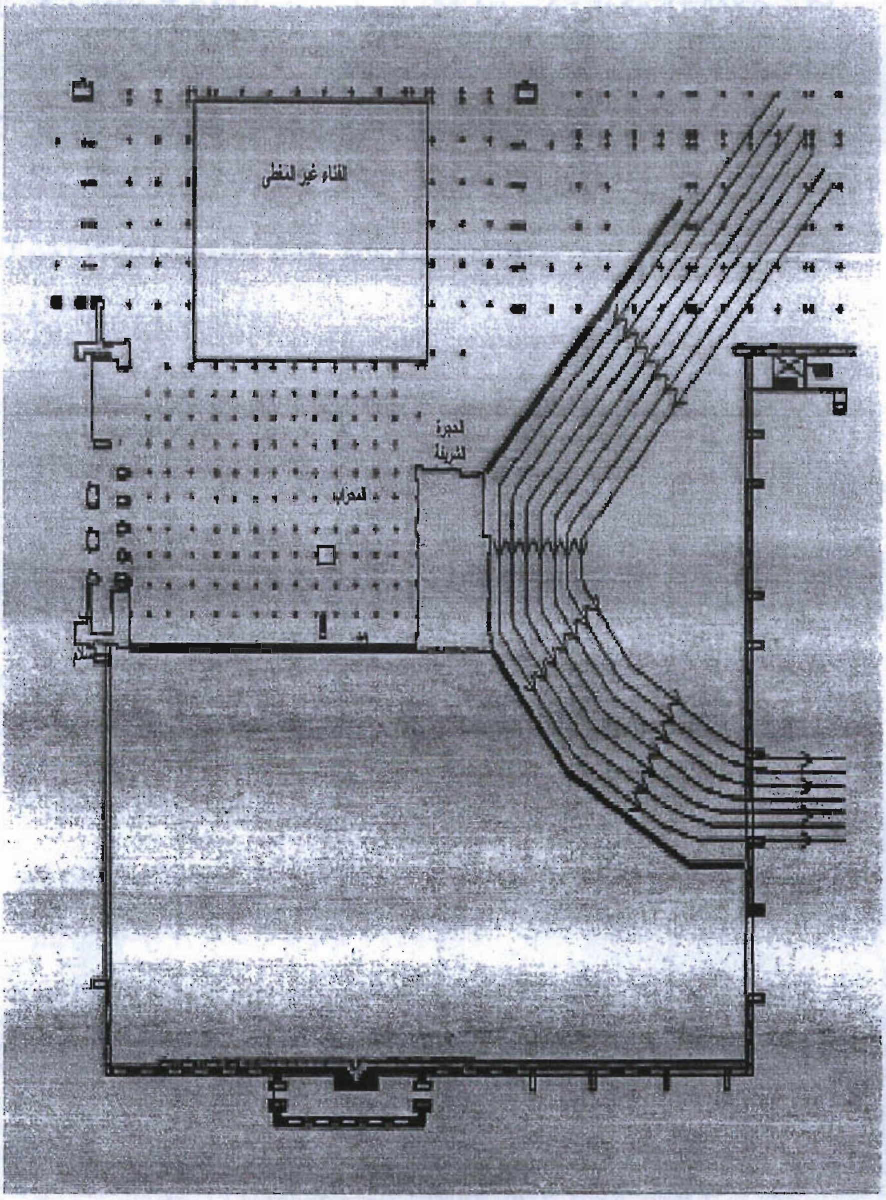
المقترح الثاني:

هو مقترح يضيف مكانا آخر (مسارا آخر للزيارة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهم) يستهدف نفس هدف المقترح السابق، ويرمي إلى نفس الغرض لكن من جهة أخرى، ويتمثل هذا المقترح في العمل على زيادة مساحة ما بين الحجرة النبوية وبين الحائط الكائن شرقها (تلك المساحة التي تقدر حاليا بحوالي ٢٢٩م^{2} فقط)، وقد لوحظ أن الزائرحاليا بعد انتهاء زيارته يرجع في طريقه معاكسا للتيار القادم للزيارة فيزيد من الزحام وحدته والتعرض للسقوط أو الدهس.

فلو أننا قمنا بنقل الحائط المذكور لمسافة ما، كأن تكون خمسين مترًا شرقي الحجرة الشريفة لأضفنا إلى هذا المكان الضيق مساحة كبيرة، تكون كفيلة بالإسهام في إراحة الزائرين المسلّمين على الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، مع الأخذ في الاعتبار عظم امتداد الساحة الخارجية من هذه الجهة، وهذا اقتراح أولي، على أن يترك التقدير الدقيق المحدد لما يمكن إضافته إلى المسجد- من هذه الجهة، وكذلك الشكل وأسلوب التنفيذ – إلى أهل الاختصاص على النحو الذي ذكرت في المقترح الأول حتى يخرج العمل بالكيفية التي تحفظ لنا جلال وبهاء المكان.

وإتماما لذلك وعملا على منع الزحام أو تقليله، ومحاولة لتفادي المشقة التي تنتج عن سير الزوار في اتجاهات متقاطعة، يمكن أن يفصل المزار من هذه الناحية عن المزار السابق (ناحية القبلة) بواسطة حاجز، بحيث يتجه الزائر في خروجه بشكل مائل تدريجيا ناحية اليسار في اتجاه البقيع حتى لا يتقاطع مع الزائرين القادمين من باب السلام وحتى يحال بين الزائرين وبين الدوران حول الحجرة المشرفة إن هم أرادوا ذلك.

إن هذا المقترح سوف يعمل على زيادة مساحة المكان المخصص للزيارة شرقي الحجرة من ٢٩٩م٢ إلى ٤٠٤٣م٢، أي بزيادة قدرها ٣٨١٥م٢ (بما يقدر بحوالي ثمانية عشر ضعفاً للمساحة الحالية)، هذا بالإضافة إلى تنظيم السير في اتجاهات محددة، مما يجعل تحرك الناس انسيابيًا سهلاً خفيفًا دون أن يلحق كبيرهم أو ضعيفهم عنت أو مشقة كما هو موضح في الشكل رقم (٤) .



شكل رقم (٤)

استحداث مسار بنقل الحائط الشرقي المجاور للحجرة الشريفة إلى ناحية البقيع

المقترح الثالث:

يضيف هذا المقترح مكانا ثالثا للزيارة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما وهو خاص بدكة الأغـوات الكائنـة خلف الحجرة النبوية الشريفة في مكان يزدحم عادة بالمصلين والمارين مـن وإلى المسجد، حيث يرى الباحث تسوية هذه الدكة بمنسوب أرض المسـجد على أن يشار إلى مكانها برخام ذي لون مختلف، وسجاد مختلف أيضـا إذا رؤيت الحاجة لذلك ليظل معلوما مكانها.

ويفيد هذا الإجراء في تحقيق هدفين:

أحدهما: توفير مكان جديد ثالث للزيارة مجاور للبيت النبوي الشـريف من جهته الشمالية (مكان دكة الأغوات المذكورة) فيخف الزحام في المناطق الأخرى المحيطة بالحجرة المطهرة من ناحية القبلة.

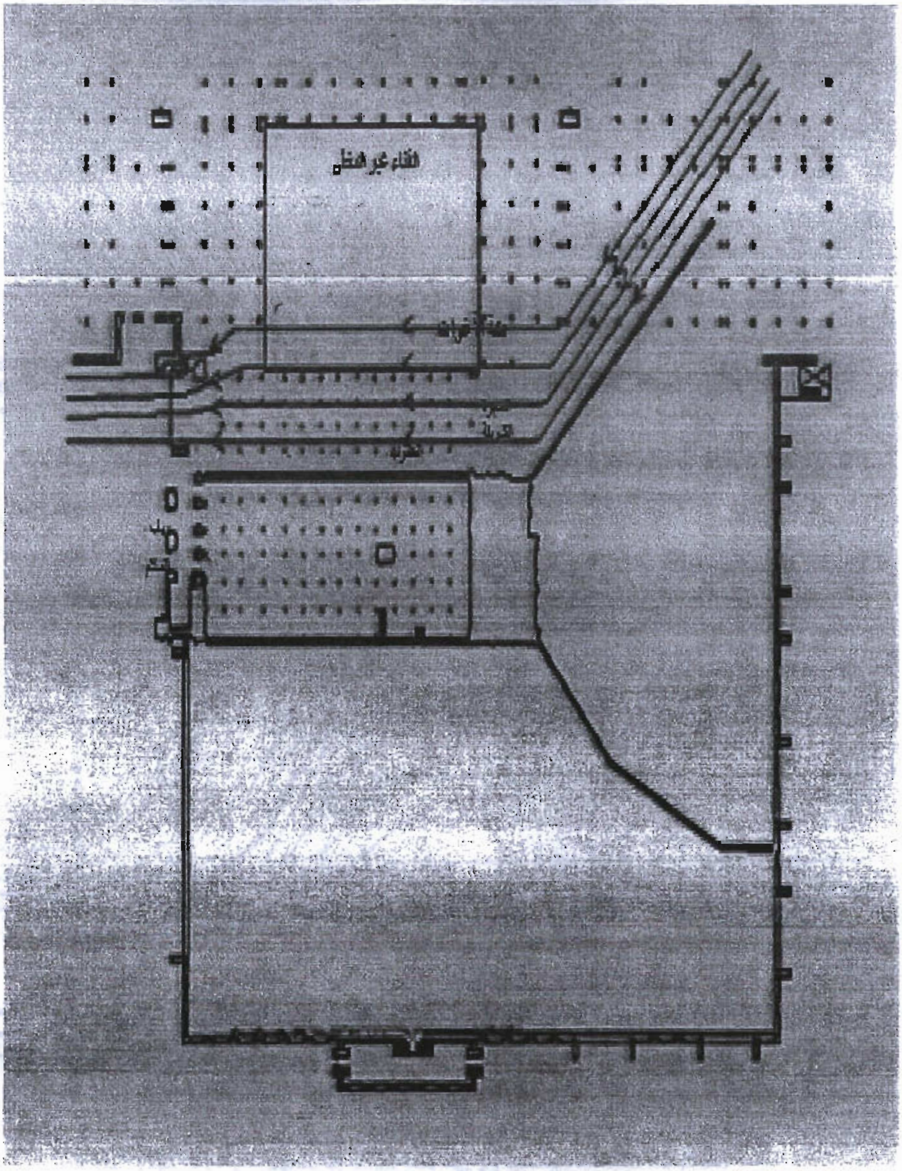
والآخر: اكتمال النفع بالأبواب القريبة من هذه الدكة لاستحداث مسـار جديد للزائرين يسلكه القادمون من بابي أبي بكر وعمر رضـي الله عنهمـا ليخرجوا بعد الزيارة من باب النساء، وأبواب جديدة أخرى تستحدث مع أي تعديلات تطرأ. انظر شـكل رقـم (٥) .

إن هذه المقترحات الثلاثة تزيد من مساحة المكان المخصص للزيـارة من ٧٤٠م٢ إلى مجموع مساحات المزارات الثلاثة والتي ستصبح مساحاتها مجتمعة قرابة ١٥٠٠٠م٢ أي قرابة ٢٠ ضعفا، وعليه يكون بإمكانه استقبال عشرين ضعف ما يستقبل المزار الحالي من الزوار. ويمكـن أن نزيـد أو ننقص من مساحة كل مسار حسب ما تمليه دراسات هندسية تفصيلية وبمـا يتوافق مع عدد الزائرين المتوقع في أيام المواسم. كما يلاحظ أن المسـارات

الثلاثة لا تتقاطع مع بعضها البعض بل ينساب فيها تدفق الزائرين كل في اتجاه معين محدد.

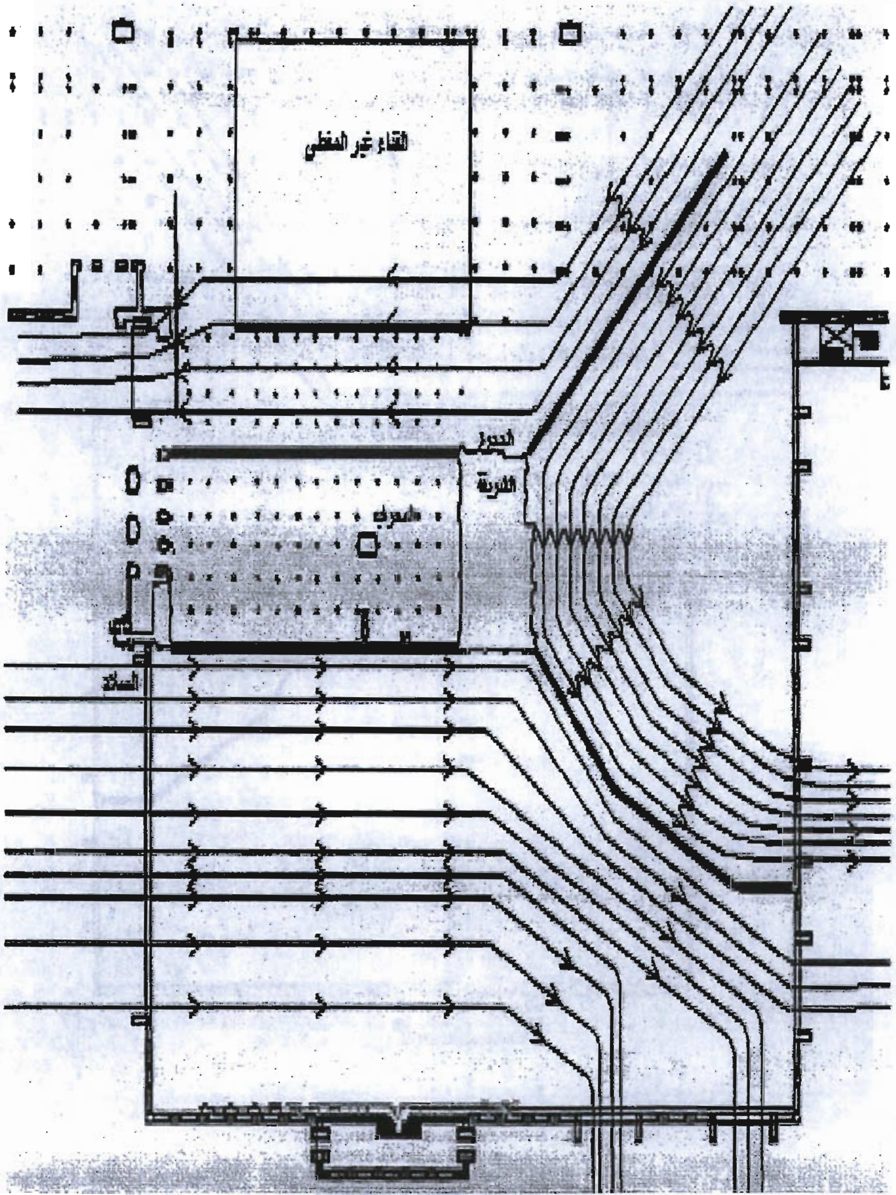
إن المقترحات السابقة كفيلة بحول الله تعالى بالقضاء على مشكلة الزحام تماما، أو التخفيف منها إلى حد كبير، بحيث يمكن رفع المشقة والعنت عن الزائرين. ويوضح الشكل رقم (٦) الوضع العام للمسارت واتجاهاتها وما يحتاجه ذلك من وسائل تحقق المراد إن شاء الله.

يلاحظ أن هذه التصورات المقترحة لأماكن الزيارة تحتم على الزائر أن يأخذ مسارا واحدا ليواجه الحجرة للسلام والزيارة من جهة واحدة بعدها ينصرف إلى خارج المسجد، ولهذا فائدة إضافية بجانب منعها لاصطدام الزائر بالمنصرف تتمثل هذه الفائدة الإضافية بأنها تحول بين الناس وبين الدوران حول الحجرة المشرفة. وكمثال لإيضاح ذلك أذكر أن القادم من باب السلام سيزور ويسلم جنوبي الحجرة ثم ينصرف إلى الخارج وليس له مسار آخر غير ذلك.



شـــكل رقـــم (٥)

استحداث مسار بعد تسوية دكة الأغوات بمنسوب أرض المسجد



شكل رقم (٦)

المسارات الثلاث واتجاهات الإنصراف دون تقاطع

• **الخاتمة:**

هذه الدراسة

- تقدم تصورات لحلول غير تقليدية لمشكلة الزحام في الحرمين الشريفين.
- توضح أن التوسع الإنشائي المتناهي لن يحل المشكلة المستمرة المتنامية.
- تقرر ضرورة التعامل مع المشكلة بمنظور شمولي واسع لأن التعامل معها مجزأة لن يحقق الهدف.
- تقترح رؤية تنظم توافد معتمري الداخل والخارج على مدار شهور العام.
- تضع تصورا لتلافي تعارض وجهات:
  - القادمين إلى كل مسجد والخارجين منه.
  - القادمين إلى المطاف وركن الحجر والملتزم والحطيم والمنصرفين من هذه الأماكن.
  - القادمين للزيارة والسلام على الرسول ﷺ وصاحبيه والمنصرفين منها.

وتقدم رؤية لإعداد أماكن جديدة للزيارة في المسجد النبوي مع اقتراح مسار خاص لكل مكان منها بحيث لا تتقاطع ولا تتعاكس مع ضمان عدم دوران الزوار الكرام حول الحجرة المشرفة.

والباحث إذ يعرض هذه الرؤى يفتح صدره وقلبه لكل ذي رأي علمي جاد يضيف أو يصوب أو يعدل أو يناقش فيما تضمنته هذه الدراسة فالحكمة ضالة المؤمن يطلبها أنى وجدها، والمجتهد مأجور أصاب أو أخطأ.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

• **ثبت المصادر والمراجع:**

١- القرآن الكريم.

٢- إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالـــي، ط دار الشعب - القاهرة، بدون تاريخ.

٣- الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق د.رفعت فوزي عبدالمطلب، ط. دار الوفاء للطباعة والنشر - المنصورة مصر ٢٠٠١م.

٤- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي الملقب بملك العلماء المتوفى سنة ٥٨٧ هجرية، تحقيـق الشيخ على معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ،الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت - عمان، ١٤٢٤هـ .

٥- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،للحافظ أبي العلي محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المبـاركفوري، ت١٣٥٣هـــ،ط دار الفكـر مراجعـة د.عبدالوهاب عبداللطيف.

٦- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للإمام الحافظ أبـي الفضل أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلاني ت(٨٥٢)،مؤسسـة قرطبة،دار المشكاة للبحث العلمي ،ط١ ،١٤١٦هـ اعتنى به أبو عاصم بن عباس بن قطب.

٧- حلول مقترحة لتخفيف حدة الزحام في مناسك الحـج،أ.د.عمـر سـراج أبورزيزة، الستين للطباعـة جـدة - المملكـة العربيـة السـعودية ط. ١٤٢٦هـ.

٨- دور الإدارة العامة في مواجهة التحديات التي تواجه أجهزة الدولة أثنـاء

الحج ،رجاء يحيى الشريف، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، جدة،١٤١٦ هـ.

٩- الدين الخالص للشيخ محمود محمد خطاب السبكي،ت١٣٥٢هـ،تصحيح محمود أمين خطاب،ط ٣ ،١٤٠١هـ.

١٠- رؤية جديدة لتخفيف الزحام في المسجد الحرام ،عمر سراج أبورزيزة – ندوة مشكلة الزحام في الحج وحلولها الشرعية المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، ذو القعدة ١٤٢٣هـ.

١١- الزحام في الحرمين.. حلول مقترحة، عمر سراج أبورزيزة ، مجلة الحج، السنة السابعة والخمسون، الجزء السابع والثامن، محرم وصفر ١٤٢٣هـ – أبريل ومايو ٢٠٠٢م .

١٢- زيادة الطاقة الاستيعابية للمطاف الشريف أ.د.عمر سراج أبورزيزة، مخطوط.

١٣- فهرس مستدرك الحاكم –كتاب الرقاق، موسوعة الحديث النبوي الشريف الصحاح والسنن والمسانيد، نسخة الكترونية، إنتاج موقع روح الإسلام.

١٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،للحافظ نور الدين على ابن أبي بكر الهيثمي، ت(٨٠٧هـ)، ط. دار الكتب العلمية –بيروت لبنان .تحقيق محمد عبدالقادر عطا،ط١ ١٤٢٢هـ.

١٥- المحلى لأبي محمد على ابن أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة ٦١هـ،تحقيق محمد منير الدمشقي،ط١ إدارة الطباعة المنيرية القاهرة ١٣٥٢هـ

١٦- المصنف لأبي شيبة، ٣٢٢/٢،تحقيق أبي محمد أسامة بن إبراهيم بن محمد، الناشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر-القاهرة، ط١-١٤٢٩هـ.

١٧- "مقام إبراهيم..تأييد فتوى نقله بالنمذجة الرياضية وتحليل لآراء بعض المؤيدين والمعارضين" أ.د.عمر سراح أبورزيزة،بحث منشور في مجلة قطاع أصول الدين بجامعة الأزهر العدد السابع ١٤٣٣هـ القاهرة -مصر.

١٨- موسوعة الحديث النبوي الشريف -الكتب الستة -ط دار السلام للنشر - الرياض ١٤١٩هـ. (صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود،سنن النسائي، جامع الترمذي، سنن ابن ماجه).

١٩- نصب الراية لأحاديث الهداية للإمام الحافظ جمال الدين أبي محمد عبدالله يوسف الزيلعي الحنفي، ط١ ١٤١٨هـ، مؤسسة الريان للنشر والتوزيع بيروت لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية -جدة .

الدوريات:

١- جريدة المدينة ،الأربعاء ١٠ ذو القعدة ١٤٣٣هـ العدد ١٨٠٥٣، السنة الثامنة والسبعون.

٢- جريدة المدينة، تاريخ ٢٠١٢/٨/١١م الموافق ١٤٣٣/٩/٢٣هـ

٣- جريدة المدينة، العدد ١٤٤٦٩.

٤- وكالة الأنباء الإسلامية الدولية

http://www.iinanews.com/ar/index.php/27-1879/43-47-22-22-07-2012